خلق المؤمن

اثنتان وسبعون صفة

من صفات المؤمنين في الكتاب والسنة

جمع وإعداد

حسين بن علي المسردي القحطاني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اثنتان وسبعون صفة
من صفات المؤمنين في الكتاب والسنة

جمع وإعداد

حسين بن علي المسردي القحطاني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

ⓒ حسين بن علي المسردي القحطاني، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القحطاني، حسين بن علي المسردي
خلق المؤمن - اثنتان وسبعون صفة من صفات المؤمنين في الكتاب والسنة./
حسين بن علي المسردي القحطاني - الرياض ١٤٤١هـ
١٧٣ص؛ ١٧ × ٢٤سم
ردمك: ٦-٢٩٠٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- الإيمان ٢- الأخلاق الإسلامية ٣- التقوى أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ٤٠٤٧/ ١٤٤١

رقم الإيداع ٤٠٤٧/ ١٤٤١
ردمك: ٦-٢٩٠٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٤١هـ

حقوق الطبع محفوظة

معالم الهدى للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية : ص.ب ٢٩٥٣٤٢ ، الرياض: ٧٥
هاتف : ٢٢ ٩٤ ٤١٠ ١١ ٩٦٦ + فاكس : ٩٥ ٨٨ ٤٨٥ ١١ ٩٦٦ +
E.mail: hooda.com@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وبعث فينا رسولاً من أنفسنا، يتلو علينا آياته، ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، فله الحمد على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لنا عصمة من كل فتنة.

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان صلاةً تكون لنا نوراً من كل ظلمة، وسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بمكارم الأخلاق وخصه بأحسنها وأوفرها؛ كما في مسند أحمد وغيره بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1].

قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «الواجب على العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق، وترك سوء الخلق؛ لأنَّ الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإنَّ الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كُلها، وخلق سيء، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها»[2].

وقد جمع العلماء البررة رضي الله عنهم جموعاً من أخلاقه ﷺ الجامعة، وقد استخرت الله تعالى في جمع كتاب يتضمن صفات المؤمنين من القرآن العظيم، وصحيح السنة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم، اقتصرت فيها على ذكر اثنتين وسبعين صفة من صفات المؤمنين، وذكرت تحت كل صفة دليلها من القرآن العظيم، وصحيح السنة النبوية، وبعض أقوال أهل العلم، وسميته:

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧٨٢)، وأخرجه أحمد (٨٩٥٢) بلفظ: «صالح الأخلاق» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٤٥)

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:٦٤)

«خُلُقُ المؤمنِ اثنتان وسبعون صفة من صفات المؤمنين في الكتاب والسنة»

مع مراعاة الاختصار والاقتصار تجنباً للإطالة والتكرار، مع شرح مبسط سلكت فيه سهولة اللفظ ووضوح المعنى.

أسأل الله العظيم أن ينفع به جامعه وقارئه، ومن ساهم وساعد في نشره، كما أساله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنَّه جواد كريم برٌ رحيم.

وبالله التوفيق والمستعان، وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

۞ ۞ ۞

كتبه:

حسين بن علي المسردي القحطاني

بتاريخ ٢١ / ذي الحجة / ١٤٣٩هـ

غفر الله له ولوالديه

halkahtani@gmail.com

الصفة الأولى
الإيمان بالغيب

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾[البقرة:٣].

الحديث:

في حديث جبريل عليه السلام الطويل - أخبرني عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم ماذا ؟ قال «**الجهاد في سبيل الله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»(٢).

المعنى:

الغيب في الآية هو الله عز وجل والقضاء والقدر، والحشر، والصراط، والجنة والنار، وكل ما غاب عنك مما أخبر به النبي ﷺ من الغيوب الماضية، والغيوب المستقبلة، تصديقاً وتسليماً لخبر الله تعالى ورسوله ﷺ.

يقول أبو الحسين محمد بن سعد الوراق رحمه الله: «اليقين ثمرة التوحيد، فمن صفا في التوحيد صفا له اليقين»(٣).

وقال أبو حنيفة النعمان رحمه الله: «أعظم الطاعات الإيمان بالله تعالى، وأعظم المعاصي الكفر بالله تعالى، فمن أطاع الله تعالى في أعظم الطاعات، وانتهى عن أعظم المعاصي؛ رجونا له الغفران فيما يأتي بعد ذلك»(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٦)، ومسلم برقم: (٨٣).

(٣) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٢٣).

(٤) أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء.

الصفة الثانية
الإخلاص

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾[الصافات:٤٠].

الحديث:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

المعنى:

الإخلاص: هو ترك الرياء في الطاعات. قاله الجرجاني في التعريفات.

وهو القصد بالعبادة لله وحده، في جميع الأقوال والأعمال والأحوال إبتغاء وجه الله تعالى، قال ﷻ: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا**﴾ [الإنسان:٩].

وهو جوهر العبادة ولبُها وسرها لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله، ولا يعجب به صاحبه فيبطله(٢).

قال ابن المبارك رحمه الله: «رب عمل صغير تكبره النية، ورب عمل كبير تصغره النية»(٣).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما»(٤).

والعمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإن كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل،

(١) متفق عليه.

(٢) قاله الجنيد وابن القيم.

(٣) جامع العلوم والحكم (١٣/١).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي.

حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[1].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وقد صام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد، كان يخرج من بيته إلى سوقه ومعه رغيفان، فيتصدق بهما ويصوم، فيظن أهله أنه أكلهما، ويظن أهل سوقه أنه أكل في بيته»[2].

اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل... آمين.

(١) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٠١-١٠٢).

(٢) لطائف المعارف (ص:٢٥٢).

الصفة الثالثة
الطهارة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر: ٤].

الحديث:

عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»(١).

المعنى:

الطهارة: النظافة والنزاهة، ضد النجاسة والقذارة، وهي عبارة عن إزالة الخبث ورفع الحدث.

أقسام الطهارة:

تنقسم الطهارة إلى قسمين:

- **حسية**: وهي النظافة من الأحداث والأخباث، وتكون بالغسل والوضوء والتيمم، وهي شرط صحة الصلاة، وصحة الأبدان، والوقاية من الأمراض.

- **معنوية**: وهي تطهير القلب والنفس من جميع المعاصي والآثام، ويكون ذلك بفعل الطاعة وترك المعصية.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «من مروءة الرجل نقاء ثوبيه، والمروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة، وإنه ليعجبني، أو إني لأحب، أن أرى الشاب الناسك النظيف»(٢).

والطهارة علامة الإيمان بل هي نصف الإيمان، فعن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على**

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣).

(٢) أخرجه ابن الجعد في مسنده (٢٩٦٣)، وابن شبّة في تاريخ المدينة (٧٧٢/٢) واللفظ له.

الوضـوء إلا مؤمـن»[1].

ومعنى تحصوا: أي لن تبلغوا المنازل كلها.

وهـي سـبب لغفـران الذنـوب؛ لحديـث عثـمان ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**مـن توضـأ هكـذا غفـر لـه مـا تقـدم مـن ذنبـه وكانـت صلاتـه ومشـيه إلى المسـجد نافلـة**»[2].

وهـي سـبب لمحبـة الله تعـالى، قـال تعـالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِـبُّ التَّوَّابِـينَ وَيُحِـبُّ الْمُتَطَهِّرِين**﴾[البقـرة: ٢٢٢].

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٩٥٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨).

الصفة الرابعة
إقامة الصلاة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [البقرة:٣].

الحديث:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ أيُ العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني[١].

المعنى:

المحافظة على مواقيتها ووضوئها، وإتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والخشوع فيها، وأدائها مع جماعة المسلمين، ومجاهدة نفسه فيها من وساوس الشيطان، واستحضار عظمة الله فيها، حتى تكون قرة عينه وراحة قلبه في إقامة الصلاة.

قال لقمان لابنه: «يا بني، لمحبِ الله تعالى ثلاث علامات: كثرة الصيام، وكثرة الصدقة، وكثرة الصلاة»[٢].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «أيها الناس، إياكم والبطنة[٣] من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم، وإنَّ الله تبارك وتعالى يبغض الحَبْرَ السمينَ، ولكن عليكم بالقصد في قُوْتِكم ، فإنه أدنى من الإصلاح، وأبعد من السَّرَف، وأقوى على عبادة الله، وإنه لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٧)، ومسلم برقم: (٨٥).

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١١٩).

(٣) البطنة: الامتلاء الشديد من الطعام. النهاية (١٣٦/١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الجوع (ص:٨١)، وإصلاح المال (ص:٣٥٢)، وأبو نعيم في الطب النبوي (ص:١٢٧).

مراتب الناس في الصلاة:

قال ابن القيم رحمه الله: «والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه، المفرِّط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيع مجاهدة نفسه بالوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه، لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها، لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل، ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له، ممتلئاً من محبته وتعظيمه، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حُجُبُها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

فالقسم الأول: معاقب.

والثاني: محاسب.

والثالث: مُكفَّر عنه.

والرابع: مثاب.

والخامس: مقرب من ربه؛ لأن له نصيباً ممن جعلت قرت عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات»[1].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص:٢٣).

الصفة الخامسة
الخشوع في الصلاة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢]

الحديث:

عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**حبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»(١).

المعنى:

قال ابن القيم رحمه الله: «الخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل».

والخشوع في الصلاة هو خوف في القلب، وسكون وتواضع في الجوارح.

وهو علامة محبة العبد لربه وتقديره لنعمه وشكره لفضله وإحسانه، مستحضراً عظمة الله تعالى متدبراً معاني آيات القرآن الكريم مع المحافظة على شروط وأركان الصلاة وسننها.

والخشوع في الصلاة يشمل عدة أمور وهي: التذلل، والخوف، والسكون، والتواضع، وخفض الصوت، وعدم الالتفات، وأن يكون نظر المصلي في موضع سجوده أو أمامه.

والخشوع في الصلاة واجب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومحله القلب وتظهر ثمرته على الجوارح»(٢).

والخشوع هو سر الصلاة ولُبها وهو دليل الفلاح والإيمان.

وأعظم أسباب الخشوع استحضار عظمة الله في الصلاة، روى الترمذي وأحمد عن علي بن الحسين رحمهما الله أنه كان إذا توضأ اصفرَّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا

(١) أخرجه النسائي برقم: (٣٩٣٩)، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥٤/٢٢).

الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: «أتدرون بين يدي من أقوم».

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كانوا إذا قاموا للصلاة أقبلوا على صلاتهم وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، وعلموا أن الله يُقبل عليهم فلا يلتفتون يميناً ولا شمالاً»[1].

ومن كلام الإمام الجنيد رحمه الله: وسُئل عن الخشوع فقال: «تذلل القلوب لعلام الغيوب»[2].

(١) الدر المنثور (٦/٨٤).

(٢) المختار من مناقب الأخيار (٢/٦٨، ٧٢، ٧٧، ٨٠).

الصفة السادسة
قيام الليل

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٤].

الحديث:

عن عبدالله بن سلام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(١).

المعنى:

هي الصلاة في الليل والناس نيام وهي صلاة تشهدها الملائكة وتنزل فيها الرحمة.

وقيام الليل هو نور المؤمن وشرفه، ودأب الصالحين فهو أبلغ في الثواب من صلاة النهار؛ لأن صلاة الليل أشد إخلاصاً من صلاة النهار، ولأن وقتها وقت النزول الإلهي، والدعاء فيه مستجاب.

وقتها:

يبدأ وقت قيام الليل من بعد صلاة العشاء ويمتد إلى طلوع الفجر.

وأفضله الثلث الأخير من الليل.

وأقل قيام الليل ركعة واحدة، ولا حدَّ لأكثره، فصلاة الليل مثنى مثنى.

قال كعب الأحبار رحمه الله: «أنيروا بيوتكم بذكر الله، واجعلوا لبيوتكم حظاً من صلاتكم، فوالذي نفس كعب بيده إنهم لمسمون، وإنهم لمعروفون في أهل السماء، فلان ابن فلان يعمر بيته بذكر الله تعالى»(٢).

عن علي ﷺ قال: «أمرنا بالسواك»، وقال: «إن العبد إذا قام يصلي أتاه الملك فقام خلفه يستمع القرين ويدنو، فلا يزال يستمع ويدنوا حتى يضع فيه على فيه، فلا

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٤٨٥)، وابن ماجه برقم: (٣٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم: (٢٤٨٥).

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:٩١).

يقرأ آية إلا كانت في جوف الملك»[1].

قال ﷺ: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، مكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم**»[2].

مراتب القائمين:

قال ﷺ: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**»[3].

قال أهل اللغة: القنطار: أربعة آلاف دينار، وقيل ثمانون ألف.

وعند الطبراني، أن النبي ﷺ قال: «**والقنطار خير من الدنيا وما فيها**»[4].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «من سورة تبارك إلى آخر القرآن ألف آية».

(١) أخرجه البيهقي في السنن برقم: (١٦٢)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم: (١٢١٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٤٩) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٤٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (١٣٩٨) وصححه الألباني.

(٤) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٦٣٨).

الصفة السابعة
الإنفاق في سبيل الله

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:٣].

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيِّب ولا يقبل الله إلا الطيِّب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل، كما يُربي أحدكم فَلُوَّه[1] أو فَصِيْلَهُ[2]**»[3].

المعنى:

هو بذل المال في أبواب الخير، والصدقة لها فوائد عظيمة في الدنيا والآخرة.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: «عليك بالصدقة بما قلَّ أو كثر فإن في الصدقة عشر خصال محمودة، خمس في الدنيا وخمس في الآخرة:

في الدنيا:

- تطهير المال.
- تطهير البدن من الذنوب.
- دفع للبلاء والأمراض.
- إدخال السرور على المساكين وهو من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى.
- بركة الرزق في المال وسعة في الرزق.

---

(١) فلوه: هو المهر صغير الخيل.

(٢) فصيله: هو ولد الناقة.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٤١٠)، ومسلم برقم: (١٠١٤).

في الآخرة:

- ظل لصاحبها من شدة الحر.
- فيها خفة الحساب.
- أنها تثقل الميزان.
- جواز على الصراط.
- زيادة في درجات الجنة»[1].

ومجالاتها كثيرة ومنها:

- بذل المال للمحتاجين.
- إطعام الطعام.
- بناء المساجد والمدارس.
- حفر الآبار.
- كفالة الأرامل والأيتام.
- كفالة الدعاة.
- نشر العلم الشرعي.

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس للصفوري.

الصفة الثامنة

طلب العلم والدعوة إليه

الآية:

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

الحديث:

عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته**»(٢).

المعنى:

العلم: ضد الجهل.

وطلب العلم: هو البحث عن العلم الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

حكمه: طلب العلم على قسمين:

القسم الأول :

فرض عين، وذلك في معرفة العبادات التي يريد فعلها أو المعاملات التي يريد القيام بها.

القسم الثاني:

فرض كفاية، وهو ما عدا فرض العين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١١٦)، ومسلم برقم: (١٠٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم: (٢٤٢) وحسنه الألباني.

فضله:

فضائل العلم كثيرة جداً من أهمها:

- أنه إرث الأنبياء، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فالعلماء هم ورثة الأنبياء.
- طريق إلى الجنة فمن سلك طريق العلم سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة.
- العلم نور يُهدى به الناس في أمور الدنيا والدين.
- يرفع الله أهل العلم بين عباده في الدنيا وفي الآخرة درجات بحسب علمهم وعملهم.
- أهل العلم شهد لهم النبي ﷺ بالخير وأنهم أفضل الناس.
- يورث الخشية لله تعالى.

مقارنة بين العلم والمال:

عقد ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة فصلاً في المقارنة بين العلم والمال وذكر فضل العلم على المال من أكثر من ثلاثين وجهاً منها:

- العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الملوك والأغنياء.
- العلم يحرس صاحبه وصاحب المال يحرس ماله.
- المال تذهبه النفقات، والعلم يزكوا بالنفقة.
- صاحب المال إذا مات فارقه ماله، والعلم يدخل معه قبره.
- العلم حاكم على المال، والمال لا يحكم على العلم.
- المال يحصل للمؤمن والكافر والبر والفاجر، والعلم النافع لا يحصل إلا للمؤمن.
- العلم يحتاج إليه الملوك فمن دونهم، والمال لا يحتاج إليه إلا أهل العدم والفاقة.
- العلم يدعوا النفس إلى التواضع والقيام بالعبودية، والمال يدعو إلى الطغيان والفخر والخيلاء.
- حب العلم وطلبه أصل كل طاعة، وحب الدنيا والمال وطلبه أصل كل سيئة.
- غني المال مقرون بالخوف على ذهابه، وغني العلم مقرون بالأمن والفرح والسرور.

وغيرها كثير.

كان عبدالله بن مسعود ﷺ يقول -إذا رأى الشباب يطلبون العلم-: «مرحبا بكم ينابيع الحكمة، مصابيح الظُّلمَة، خُلْقَان الثياب، جُدُدَ القلوب، جَرَس البيوت، ريحان كل قبيلة».

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما تُقرِّب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم»[1].

وقال الإمام الزهري رحمه الله: «ما عُبد الله بمثل العلم».

وسئل الحسن البصري رحمه الله عن أنفع الأدب؟ فقال: «التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله عليك».

وقال ربيعة بن أبي عبدالرحمن رحمه الله «العلم وسيلةٌ لكل فضيلة».

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي *** فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور *** ونور الله لا يهدى لعاصي[2]

وأعظم الأسباب التي يُحرم بها العبد خير الدنيا والآخرة: الغفلة المضادة للعلم، والكسل المضاد للإرادة والعزيمة، هذان أصل بلاء العبد وحرمانه منازل السعداء[3].

وأنفع العلم العلمُ بأمر الله تعالى ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه. وأعلى العلوم العلمُ بالله تعالى وأسمائه وصفاته[4].

مراتب التَعَلم:

قال سفيان الثوري رحمه الله: «أول العلم: الصمت، والثاني: الاستماعُ له وحفظه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه»[5].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه

(١) تهذيب الأسماء واللغات.

(٢) ديوان الإمام الشافعي (ص:٧٥).

(٣) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١١٦).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٢٣).

(٥) المصدر السابق (ص:١٤٥).

نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جَزُلَ رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه»[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة، وتواضعوا لمن تعلمون، وليتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، ولا يقم علمكم مع جهلكم»[2].

(١) الجوهر اللماع فيما ثبت بالسماع من حكم الإمام الشافعي (ص:٥١).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد برقم: (٦٣٠).

الصفة التاسعة
اتباع السنة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[الأحزاب:٢١].

الحديث:

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وفي لفظ لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١).

المعنى:

السنة: ضد البدعة، وهي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية أو خُلقية.

والاقتداء برسول الله ﷺ واجب، وهو شرط في صحة العمل مع الإخلاص لله تعالى، فقد أمر ﷺ باتباع السنة، فقال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»، وحذر ورهب من البدع والمحدثات بقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، فالسنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

وعلامة محبة الله تعالى متابعة نبيه ﷺ(٢)

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[آل عمران:٣١].

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان يقال خمس عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨).

(٢) المختار من مناقب الأخيار (٣٦٨/٤-٣٧٠).

(٣) شرح اعتقاد أصول أهل السنة للالكائي (٦٤/١).

وقال يحيى بن يحيى رَحِمَهُ اللَّهُ -شيخ الإمام البخاري ومسلم-: «الذب عن السنة أفضل من الجهاد»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الراد على أهل البدع مجاهد»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان»[3].

(١) نقض المنطق (ص:١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٤).

(٣) مقدمة منظومته الكافية الشافية (ص:١٩).

الصفة العاشرة
الاستقامة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠].

الحديث:

عن سفيان بن عبدالله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؟ فقال ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»(١).

المعنى:

الاستقامة: هي لزوم طاعة الله تعالى.

قال القاضي عياض رحمه الله: «هذا من جوامع كلمه ﷺ، وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت:٣٠]، أي: وحدوا الله وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد، والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك، وعلى ما ذكرناه أكثر المفسرين من الصحابة فمن بعدهم، وهو معنى الحديث إن شاء الله تعالى».

أحوال الناس في الاستقامة والاعوجاج:

لا يخلو حال الناس فيما أمروا به ونهوا عنه من فعل الطاعات واجتناب المعاصي من أربعة أحوال:

الأولى: من يستجيب إلى فعل الطاعات واجتناب المعاصي وهذا أكمل أحوال أهل الدين وأفضل صفات المتقين، وهذا يستحق جزاء العاملين وثواب المطيعين، وهذه حال الاستقامة أو الطاعة.

الثانية: من يمتنع من فعل الطاعات ويُقدم على ارتكاب المعاصي وهي أخبث

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٨).

أحوال المكلفين، وهذا يستحق عذاب الذي يلهو وعذاب من يجترئ على حدود الله، وهذه حال الاعوجاج أو المعصية.

الثالثة: من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويُقدم على ارتكاب المعاصي وهذا يستحق عذاب المجترئ لأنه تورط بغلبة الشهوة في الإقدام على المعصية وإن سلم من التقصير في فعل الطاعات، وهذه حال بين الاعوجاج والاستقامة أو حال المجترئ.

الرابعة: من يكف عن الطاعات والمعاصي معاً، وهذا يستحق عذاب اللَّاهي عن دينه، وهذه حال أقرب إلى الاعوجاج منها إلى الاستقامة وتسمى بحال اللَّاهي»[1].

قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني، اجعل خطاياك بين عينيك إلى أن تموت، وأما حسناتك فاله عنها، فإنه قد أحصاها من لا ينساها»[2].

وقالت رابعة بنت إسماعيل الشامية لزوجها أحمد بن أبي الحواري: «أعلمت أنَّ العبد إذا عمل بطاعة الله أطلعه الجبار على مساوىء عمله فيتشاغل به دون خلقه؟»[3].

والاستقامة طريق أولها الكرامة، وأوسطها السلامة، وآخرها الجنة[4].

(١) أدب الدنيا والدين (ص:١٠٤)، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣٩٢٨/٩).

(٢) الإرشاد لمن طلب الرشاد لمحمد حسن نائيني (ص:١٣).

(٣) المختار من مناقب الأخيار.

(٤) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:٩٩).

الصفة الحادية عشر
تذكر الموت

الآية:

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٦].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات، الموت**»(١).

المعنى:

الواجب على المؤمن أخذ العُدَّةَ لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه الموت؛ لأن الموت يقطع عن العمل فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفاً، أو غرس غرساً، أو أجرى نهراً، أو صنَّف كتاباً صدقة جارية لا ينقطع عنه أجره.

عن أبي الدرداء ﷺ قال: «أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك بملئ فيه وهو لا يدري أأرضى الله أم أسخطه، وأبكاني: فراق الأحبة محمداً وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السريرة علانية ثم لا يدري إلى الجنة أو النار»(٢).

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٠٧)، والنسائي (٤/٤)، وابن ماجه برقم: (٤٢٥٨)، قال الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: حسن صحيح.

(٢) التذكرة للقرطبي.

الصفة الثانية عشرة
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون**﴾ [آل عمران:١٠٤].

الحديث:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

المعنى:

قال البغوي ﷺ في تفسيره: «المعروف هو السنة، والمنكر هو البدعة».

وقال غيره: هو اسم جامع لكل طاعة وقربة إلى الله تعالى.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام ودعائمه العظام التي بها يقام الدين، وقد وصف الله تعالى بها أنبياءه ورسله وأوليائه، ورتب عليها الأجور العظيمة.

مع مراعاة المصلحة في إنكار المنكر، فإذا أدى الإنكار إلى منكر أعظم فتركه أولى وأفضل.

والرفق في الإنكار على المخالف: بأن يكون الإنكار دون تهجم أو تجريح، لكن مع الصراحة الكاملة والوضوح التام(٢).

حكمه: واجب بالكتاب والسنة والإجماع(٣).

وذهب جمهور العلماء إلى أنَّه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٩).

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:٢١٢).

(٣) نقل الإجماع النووي في شرح صحيح مسلم، والجصاص في أحكام القرآن، والغزالي في إحياء علوم الدين.

الصفة الثالثة عشر
الإحسان

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران:١٣٤].

الحديث:

في حديث جبريل عليه السلام - الطويل - أخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»(١).

المعنى:

الإحسان: ضد الإساءة، وهو إتقان العمل.

والاحسان أعلى مراتب الدين وأجلها، وهو أنواع:

- إحسان مع الله تعالى، أن نعبده حق عبادته يُطاع فلا يُعصى.

- إحسان مع النبي ﷺ، ويكون باتباع سنته ﷺ، والاقتداء به في كل الأحوال.

- إحسان مع الخلق، ويكون بالمعاملة الحسنة، قال الله تعالى: ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[البقرة:٨٣] ومن ذلك: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحُسن الجوار، وكف الأذى، وبذل الندى.

- إحسان إلى الحيوان؛ بألا يكلف فوق طاقته وأن يطعمه ويسقيه وغير ذلك.

قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: «لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله تعالى شاهده حيث كان».

وقال ذو النون رحمه الله: «من راقب الله تعالى في خطرات قلبه؛ عصمه الله تعالى في حركات جوارحه، ومن خاف فرَّ إلى الله عز وجل، ومن فرَّ إلى الله نجا بالله تعالى»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠)، ومسلم برقم: (٨) .

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٤٠).

شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

- الإسلام.
- التكليف.
- العدالة.
- القدرة.
- العلم.

شروط المأمور والمنهي:

- أن يكون إنساناً.
- أن يكون متلبساً بالمنكر أو تاركاً للمعروف.
- أن يكون الفعل الصادر منكراً شرعاً.

شروط المعروف المأمور به والمنكر المنهي عنه:

- أن يكون الفعل المراد تغييره منكراً.
- أن يكون موجوداً في الحال.
- أن يكون ظاهراً من غير تجسس.
- أن يكون المنكر متفقاً على تحريمه بغير خلاف معتبر.

مراتب الإنكار:

لتغيير المنكر ثلاث مراتب:

- باليد فإن لم يستطع،
- فباللسان فإن لم يستطع،
- فبالقلب وذلك أضعف الإيمان.

الصفة الرابعة عشر
التقوى

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحشر:١٨].

الحديث:

عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «**اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم**»(١).

المعنى:

التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقايةً تقيه منه.

فتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه؛ من غضبه وسخطه وعقابه، وقاية من ذلك. وهو امتثال أمره واجتناب معصيته(٢).

وقد عرفها طلق بن حبيب رحمه الله بقوله: «العمل بطاعة الله على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله».

قال الذهبي رحمه الله معلقاً: «أبدع وأوجز فلا تقوى إلا بعمل... فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»(٣).

ثمرات التقوى:

وللتقوى ثمرات في الكتاب والسنة أوصلها بعضهم إلى ثلاثين ثمرة منها:

- الانتفاع بالقرآن الكريم، ومحبة الله عز وجل قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [التوبة: ٤].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٨٦٧) وصححه الألباني.

(٢) لسان العرب.

(٣) سير أعلام النبلاء (٦٠١/٤).

- رحمة الله للمتقين، قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾[الأعراف:١٥٦].
- تكفير السيئات.
- تفريج الكربات.
- زيادة في الرزق.
- سبب في حصول العلم.
- نور يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل.
- هي وصية الله للأولين والآخرين.

مراتب التقوى:

قال ابن القيم رحمه الله: «التقوى ثلاث مراتب:

إحداها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.

والثانية: حميتها عن المكروهات.

والثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني. فالأولى: تعطي العبد حياته. والثانية: تفيده صحته وقوته. والثالثة: تكسبه سروره وفرحه وبهجته».

قال سعيد بن جبير رحمه الله: «إنَّ الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتُك بينك وبين معصيتك فتلك الخشية»[1].

قال أبو محمد عبدالله القحطاني رحمه الله في نوتيته:

وإذا خلوت بريبة في ظلمةٍ *** والنفسُ داعية إلى الطغيان
فاستحِ من نظر الإله وقل لها *** إنَّ الذي خلق الظلام يراني

وقال علي بن محمد البسامي رحمه الله:

وإذا بحثت عن التقي وجدته *** رجلاً يصدق قوله بفعال
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه *** فيداهُ بين مكارم ومعال
وعلى التقي إذا تراسخ في التقى *** تاجان: تاج سكينة، وجمال
وإذا تناسبت الرجال، فما أرى *** نسباً يكون كصالح الأعمال[2]

(١) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١١٠).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:٢٢).

الصفة الخامسة عشر

الصبر

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون**﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب**﴾[الزمر:١٠].

الحديث:

عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(١).

المعنى:

الصبر: ضد الجزع، وهو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى.

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنَّه لا جسد لمن لا رأس له. والصبر نصف الإيمان.

والصبر ثلاثة أنواع:

- صبر على طاعة الله تعالى: وهو إلزام النفس بالطاعة؛ كالصلاة وإن دعته نفسه الى الكسل.

- صبر عن معصية الله تعالى: وهو حبس النفس عن فعل المحرك؛ كالزنا والسرقة.

- صبر على امتحان الله تعالى: وهو حبس النفس عن التسخط بالقلب أو اللسان أو الجوارح إذا نزلت به مصيبة، فيكون بالقلب أن يرضى عن ربه، وباللسان أن لا

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٩٩).

يدعو بالويل والثبور، وبالجوارح أن لا يشق الجيوب ولا يلطم الخدود.

وقد قيل النجاح في الصبر وفي الثبات، وهما توأمان في مظهرين مختلفين[1].

(١) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٢٤).

الصفة السادسة عشر
التوكل على الله

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[آل عمران:١٦٠].

الحديث:

عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»(١).

المعنى:

قال الجرجاني رحمه الله: «التوكل هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس، وهو الاستسلام لله تعالى وتفويض الأمر إليه وهو الرضى بالمقدور والتعلق بالله في كل حال وهو آية الإيمان وعلامته مع الأخذ بالأسباب المأذون بها شرعاً».

وقال ابن بطال رحمه الله: «التوكل على الله: هو الثقة به والاستسلام لأمره وإيقان العبد بأن قضاءه عليه ماضٍ»(٢).

ولا يستطيع العبد أن يحقق هذه العبادة العظيمة إلا بتركه للذنوب وتذكُره للثواب المترتب عليه وهو حب الله تعالى.

وقد أمر الله تعالى بالتوكل في القرآن الكريم، كما أمرنا بالأخذ بالأسباب المأذون بها شرعاً، فقد قال الله تعالى لمريم عليها السلام: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[مريم:٢٥].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[آل عمران:١٥٩].

ودخول الجنة بشرط عدم الاعتماد الكلي على الأسباب وإنما يعتمد في أول أمره وآخره على الله تعالى فالله يقدر الأمور بأسبابها وهو جل في علاه مسبب الأسباب،

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٢)، ومسلم برقم: (٢١٨).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٠٩/٩) ط مكتبة الرشد .

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝٥٨ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[العنكبوت: ٥٨-٥٩].

قال ابن القيم رحمه الله: «التوكل أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية»[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «إنَّ اتخاذ المولى عز وجل وكيلاً هو محض العبودية، وخالص التوحيد، إذا قام به صاحبه حقيقة».

حال التوكل:

قال ابن القيم رحمه الله: «التوكل حال مركبة من مجموعة أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها:

الأول: معرفة بالرب وصفاته من قدرته، وكفايته، وقيوميته.

الثاني: الأخذ بالأسباب، فإن الله عز وجل جعل لكل شيء سبباً.

الثالث: رسوخ القلب في مقام التوحيد، فلا يلتفت إلى غير الله عز وجل.

الرابع: اعتماد القلب على الله، فلا يتعلق بالأسباب، ولكن يعتمد على مُدبر الأمر، ومسبب الأسباب.

الخامس: أن يحسن العبد ظنه بربه ومولاه، فيعتقد أن تدبير الله عز وجل له خير من تدبيره لنفسه.

السادس: أن يستسلم لهذا التدبير.

السابع: أن يفوض الأمور كلها لله عز وجل.

الثامن: أن يرضى بقضاء الله عز وجل».

قال بعض السلف: «توكل تُسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف».

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: «التوكل على الله جماع الإيمان، وكان يدعو: اللهم إني

(١) مدارج السالكين (١٢٥/٢).

أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك»[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالقوة كل القوة في التوكل على الله؛ كما قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»[2].

مباني التوكل:

قيل لحاتم الأصم رَحِمَهُ اللَّهُ: على ما بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال: «على أربع خلال: علمت أنَّ رزقي لا يأكله غيري، فلست اهتم له، وعلمت أنَّ عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغول به، وعلمت أنَّ الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني بعين الله في حال، فأنا مستحي منه»[3].

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) زاد المعاد (٣٣١/٢).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي.

الصفة السابعة عشر
الاستغفار بالأسحار

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾[آل عمران:١٧].

وقال الله تعالى: ﴿**وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[الذاريات:١٨].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[1].

المعنى:

الاستغفار: هو طلب ستر الذنب ومحوه، وقد كان النبي ﷺ يستغفر في اليوم مائة مرة.

والاستغفار سبب لدفع العذاب لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[الأنفال:٣٣].

قال الحسن البصري ﷺ: «لا أظن أنَّ الله يعذب رجلاً استغفر» فقيل له: لماذا؟ قال: «كيف يلهمه الاستغفار ويريد به أذى».

وقت السحر:

السحر: هو سُدس الليل الأخير، والعبادة فيه أشد إخلاصاً؛ لما في ذلك الوقت من هدوء النفس، وصفاء السرائر، والتجرد عن شواغل الدنيا، وهو وقت استجابة.

قال ابن كثير ﷺ: -عند قوله تعالى-: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾[آل عمران:١٧]، «دلَّ على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار، وقد قيل: إنَّ يعقوب

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٤٥)، ومسلم برقم: (٧٥٨).

عليه السلام لما قال لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾[يوسف:٩٨] أنه أخرهم إلى وقت السحور».

قال قتادة رحمه الله: «إنَّ القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم، فذنوبكم، وأما دواؤكم فالاستغفار».

فوائد الاستغفار من القرآن:

- يغفر الذنوب، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[نوح: ١٠].

- نزول المطر، قال تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[هود:٥٢].

- حصول الرزق، قال تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾[نوح:١٢].

- حصول الأولاد، قال تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾[نوح:١٢].

- دخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾[نوح:١٢].

- حصول القوة، قال تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾[هود:٥٢].

- المتاع الحسن، قال تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾[هود:٣].

- دفع العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون﴾ [الأنفال:٣٣].

- سبب لرحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون﴾ [النمل:٤٦].

حقيقة الاستغفار:

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عُقد الإصرار ويثبت معناه في الجِنان، لا التلفظ باللسان، فأما من قال بلسانه: استغفر الله، وقلبه مُصِرٌ على معصية فاستغفاره ذلك يحتاج الى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر. وروي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «استغفارنا يحتاج إلى استغفار»، هذا يقوله في زمانه، فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيه الإنسان مكباً على الظلم! حريصاً عليه لا يقلع، والسبحة في يده زاعماً أنه يستغفر الله من ذنبه، وذلك استهزاء منه واستخفاف، وفي التنزيل: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا﴾[البقرة:٢٣١]»[1].

(١) تفسير القرطبي (١١٠/٤).

فائدة:

جاء سفيان إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقال: لا أقوم حتى تحدثني. قال: «أنا أحدثك وما كثرت الحديث لك بخير يا سفيان: إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر الحمد والشكر، فإن الله تعالى قال: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[إبراهيم:٧]، يا سفيان إذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإنه الله قال: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا**﴾[نوح: ١٠-١١]، يا سفيان: إذا ضر بك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة».

الصفة الثامنة عشر
كظم الغيظ

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٤].

الحديث:

عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «**لا تغضب**»، فردد مراراً، قال: «**لا تغضب**»(٢).

المعنى:

قال المناوي ﷺ: «الغيظ: أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه، وقيل: هو الغضب المحيط بالكبد وهو أشد الحنق».

والكظم: هو أن يمتلئ غيظاً فيحبسه في جوفه ولا يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه.

قيل لابن المبارك ﷺ اجمع لنا حُسن الخلق في كلمة واحدة. قال: «ترك الغضب».

وشتم رجلٌ الشعبيَّ، فقال له الشعبي: «إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلتَ فغفر الله لك».

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٢١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦١١٦).

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

يخاطبني السفيه بكل قبح *** فأكره أن أكون لـــه مجيبـا
يزيد سفاهة فأزيــد حلماً *** كعود زاده الإحراق طيبـا
إذا نطق السفيــه فلا تُجِبه *** فخير من إجابته السكـوت
فإن كلَّمته فرَجت عنه *** وإن خليته كـمداً يـموت

قال ابن عبدالبر رحمه الله: «من كظم غيظه وردَّ غضبه، أخزى شيطانه، وسلمت مروءته ودينه».

فوائد كظم الغيظ:

ولكظم الغيظ فوائد منها:

- كظم الغيظ دليل قوة النفس وقهر شهوة الغضب.
- كظم الغيظ دليل تقوى الله وإيثار وعده بالجنة.
- كاظم الغيظ يأمنه الناس فيألفونه ويقتربون منه ولا يتحاشونه.
- كظم الغيظ يشيع بين الناس جو الصفاء والوداد والحب والإخاء.
- كظم الغيظ دليل الصبر والعفو.
- فيه عظم الثَّواب يوم العرض على رب الأرباب.
- الجزاء من جنس العمل، من ضيَّق على نفسه حين الغضب وسَّع الله في ثوابه.
- من كظم غيظاً ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة.
- كظم الغيظ عاقبته سكن الإيمان في النفس[1].

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣٢٤٤/٨).

الصفة التاسعة عشر
العفو والتسامح

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[النور:٢٢].

الحديث:

عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**ثلاثٌ والذي نفسي بيده إن كنتُ لحالفاً عليهن: لا ينقصُ مال من صدقة فتصدقوا، ولا يعفو عبدٌ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة، ولا يفتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقرٍ**»(١).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**»(٢).

المعنى:

العفو: هو ترك عقوبة المذنب.

والتسامح: اليسر في معاملة الآخرين.

والعفو من أعظم الأبواب الجالبة للمودة والمحبة بين الناس، فإذا سبَّك أو أساء شخص إليك فأحسن إليه فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك ومسامحتك.

شتم رجلٌ ابن عباس ﷺ فلما قضى مقالته، قال: «يا عكرمة، انظر هل للرجل حاجة فنقضيها؟» فنكَّس الرجل رأسه واستحى.

سُئل أبو الدرداء ﷺ: عن أعز الناس؟ قال: «الذي يعفو إذا قدر، فاعفوا يعزكم الله»(٣). وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه؛

(١) صحيح الترمذي (٢٤٦٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٧٦).

(٣) إحياء علوم الدين.

شكراً للقدرة عليه»[1].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «أفضل أخلاق المؤمن العفو».

قصة لطيفة:

ذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره فقال: «جاءت جارية ميمون بن مهران ذات يوم بصحفة -وعاء- فيها مرقة حارة، وعنده أضياف، فعثرت، فصبَّت المَرَقَةَ عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قول الله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾[آل عمران:١٣٤]. قال لها: قد فعلت. فقالت: اعمل بما بعده ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾[آل عمران:١٣٤]. فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران:١٣٤]. قال ميمون: قد أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله تعالى.

(١) المستطرف.

الصفة العشرون
العدل

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[النحل:٩٠].

الحديث:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أعطاني أبي عَطِيَّة، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عَطِيَّة، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**» قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»، قال: فرجع فرد عطيته[1].

المعنى:

العدل: ضد الظلم، وهو الاستقامة على طريق الحق بالاحتساب عما هو محظور شرعاً[2].

والعدل أمر أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة لأهميته في جميع الأحوال والأقوال والأفعال، إذ المسلم مأمور بالعدل في ذاته ومأمور بالعدل في معاملة خالقه عز وجل بالاعتراف بصفاته أن نعبده حق عبادته، ومأمور بالعدل في معاملة المخلوقات جميعاً، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[النساء:٥٨].

قال عكرمة رضي الله عنه: «قرأ النبي ﷺ على الوليد بن المغيرة ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾، فقال: يا ابن أخي أعد، فأعاد عليه، فقال: والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٥٨٧).

(٢) التعريفات للجرجاني.

عليه لطلاوة، وإنَّ أصله لمورق، وأعلاه لمثمر، وما هو بقول البشر»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»[2].

قال أبو العتاهية رحمه الله:

أمـــا والله إن الظلـــم لـــومُ *** ولا زال المسيء هو الظلومُ
إلى ديانِ يـــوم الدينِ نمضي *** وعند الله تجتمعُ الخُصـــومُ
ستعلمُ في الحسابِ إذا التقينا *** غدا عند الإله ، من الملوم ؟

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره: «العدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعدل يرد المعتدي ويوبخه»[3].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٥/١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٦/٢٨).

(٣) تفسير الطبري (٥١٧/٢١).

الصفة الحادية والعشرون
الوفاء بالعهد

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ**﴾[المائدة:١].

وقال الله تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا**﴾[الإسراء:٣٤].

الحديث:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «**أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(١).

المعنى:

الوفاء: ضد الغدر.

قال الجرجاني رحمه الله: «هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلفاء».

والوفاء صفة عظيمة اتصف الله بها في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ**﴾[التوبة:١١١].

وقد أمر الله تعالى عباده بالوفاء مع الناس عامة في معاملتهم، وعدم الخيانة لهم، وجعل النبي ﷺ عدم الوفاء بالعهد صفة من صفات المنافقين، بل أمر ﷺ بالوفاء حتى مع الخائنين، فقال ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»(٢).

ويكون الوفاء مع الله تعالى بتحقيق عبادته وحده، ومع رسوله ﷺ باتباع سنته، ومع الوالدين ببرهما والدعاء لهما، ومع الزوجة والأولاد والمسلمين وغيرهم بالعدل والإحسان إليهم.

قال الأحنف رحمه الله: «لا صديق لملول، ولا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤)، ومسلم برقم: (٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (١٢٦٤)، وصححه الألباني برقم: (٣٥٣٥).

مروءة لبخيل، ولا سؤدد لسيء الخلق»[1].

قال الأصمعي رحمه الله: «إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده؛ فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكاءه على ما مضى من زمانه»[2].

قصة:

يقال: أوفى من الحارث بن عبَّاد:

وكان من وفاءه أنَّه أسرَ عدي بن ربيعة ولم يعرفه، فقال له: «دلني على عدي بن ربيعة ولك الأمان»، فقال: «أنا آمن إن دللتك عليه؟» قال: «نعم». قال: «فأنا عدي بن ربيعة»، فخلَّاه[3].

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (١٤٦/١).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح.

(٣) المجالس والأضداد للجاحظ (ص: ٤٨).

الصفة الثانية والعشرون
الصدق

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين**﴾[التوبة:١١٩].

الحديث:

عن عبادة بن الصامت ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيدكم**»[1].

المعنى:

الصدق: ضد الكذب، وهو قول الحق في مواطن الهلكة[2].

والصدق أصل من أصول الأخلاق في الإسلام، ومن عظيم شأنه أنَّ الله اتصف به فقال: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا**﴾[النساء:٨٧] وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلا**﴾[النساء:١٢٢].

وهو خُلق الأنبياء والحكماء والأصفياء، بل هو أساس الإيمان، كما أنَّ الكذب أساس النفاق.

وقد أجمع الفقهاء على ثلاث خصال إذا صحت ففيها النجاة، ولا يتم بعضها إلا ببعض: الإسلام الخالص عن البدعة والهوى، والصدق لله في الأعمال، وطيب المطعم.

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث: من إذا حدثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفَّى لهم. وجب

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (٢٢٨٠٩)، والحاكم (٣٩٩/٤)، وحسنه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن برقم: (٥٨٠٧)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٢٤١٦).

(٢) مدارج السالكين.

لـه عليهـم أن تحبـه قلوبهـم، وتنطـق بالثنـاء عليـه ألسـنتهم، وتظهـر لـه معونتهـم»[١].

وقـال أبـو الحسـن عـلي بـن أحمـد البسـطامي رحمه الله : «راحـة الجسـم في قلـة الطعـام، وراحـة الـروح في قلـة الـكلام، وراحـة العقـل في قلـة الاهتـمام»[٢].

وقـال الجاحـظ: «الصبـر صبـران: فأعلاهمـا أن تصبـر عـلى مـا ترجـو فيـه الغُنـم في العاقبـة. والـحِلـم حِلـمـان: فأشرفهـما حِلمُـك عمـن هو دونك. والصـدق صـدقـان: أعظمهـما صدقـك فيـما يـضرك. والـوفـاء وفـاءان: أسـناهما وفـاؤك لمـن لا ترجـوه ولا تخافـه»[٣].

وقـال بعـض حكـماء العـرب: «إني امتحنـت خصـال النـاس، فوجـدت أشرفهـا صـدق اللسـان، ومـن عَـدِم فضيلـة الصـدق مـن منطقـه فقـد فُجـع بأكـرم أخلاقـه»[٤].

وقـال أبـو حاتـم رحمه الله : «لـو لم يكـن للكـذب مـن الشـين إلا إنزالـه صاحبـه بحيـث إن صـدق لم يصـدق، لـكان الواجـب عـلى الخلـق كافـة لـزوم التثبـت بالصـدق الدائـم، وإنَّ مـن آفـة الكـذب أن يكـون صاحبـه نسـياً، فـإذا كان كذلـك كان كالمنـادي عـلى نفسـه بالخـزي في كل لحظـة وطرفـة»[٥].

وقـال وهـب بـن منبـه رحمه الله : «مـن عُـرِف بالكـذب لم يجـز صدقـه، ومـن عُـرِف بالصـدق اؤتمـن عـلى حديثـه، ومـن أكثـر الغيبـة والبغضـاء لم يوثـق منـه بالنصيحـة، ومـن عـرف بالفجـور والخديعـة لم يوثـق إليـه في المحبـة، ومـن انتحـل فـوق قـدره جحـد قـدره، ولا يحسـن فيـه مـا يقبـح في غـيره»[٦].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «قد أفلح من عُصم من الهوى والطمع والغضب، وليس فيما دون الصدق من الحديث خير»[٧].

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٥٣/١).

(٢) الطبقات السنية في تراجم الحنفية (١٦١/١-١٦٨).

(٣) الطبقات السنية في تراجم الحنفية (١٦١/١-١٦٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٦/١٠-٣٦).

(٥) الطرفة : إغماضة العين. من كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:٤٣- ٤٤).

(٦) حلية الأولياء (٦٣/٤).

(٧) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢٠٢٠٤).

الصفة الثالثة والعشرون
صلة الرَحِم

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾ [الرعد:٢١].

الحديث:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سرَّه أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**»[1].

المعنى:

صلة الرَّحِم هي: الإحسان إلى الأقارب.

حكمها: لا خلاف في وجوبها، وقد نقل الإجماع على ذلك الإمام القرطبي والقاضي عياض رحمهما الله تعالى.

ثمراتها:

لصلة الرحم ثمرات عظيمة منها:

- سبب في سعة الرزق وطول العمر.
- سبب في تعجيل الثواب.
- سبب لدفع ميته السوء.
- سبب من أسباب المحبة والألفة.
- سبب في قبول العمل.
- سبب نزول الرحمة ودخول الجنة والنجاة من النار.

ولعظم شأنها اشتق الله تعالى لها اسماً من اسمه الرحمن، كما أنَّ قطع الرحم سبب لتعجيل العقوبة، فعن نفيع بن الحارث الثقفي أبي بكرة ﷺ قال: قال

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٦٧)، ومسلم برقم: (٢٥٥٧).

رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[1].

حدُّها:

حدُّ الرحم التي يجب وصلها: هي كل رَحِمٍ مُحَرَّمٍ بحيث لو كان أحدهما أنثى والآخر ذكراً حرمت مناكحتهما.

وهي مراتب يقدم الأقرب فالأقرب، الأم، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد، والجدات، ثم الإخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام.

كيفية صلة الرحم:

قال الإمام النووي رحمه الله: «صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة تكون بالزيارة، والسلام، وغير ذلك»[2].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال القرطبي رحمه الله: الرحم التي توصل: عامة وخاصة.

فالعامة: رحم الدين، وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح، والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة.

وأما الرحم الخاصة: فتزيد للنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم»[3].

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) شرح صحيح مسلم (٢٠١/٢).

(٣) فتح الباري (٤١٨/١٠).

الصفة الرابعة والعشرون
الإعراض عن اللغو

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾[المؤمنون:٣].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(١).

المعنى:

الإعراض عن اللغو: هو البعد عن سقط الكلام وما لا فائدة ولا نفع فيه.

وهي من صفات عباد الرحمن الذين أضافهم الله إليه إضافة تشريف وتكريم، بل جعل الله تعالى من نعيم أهل الجنة أنهم لا يسمعون فيها اللغو، فقال تعالى: ﴿**لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾[مريم:٦٢]، قال ابن كثير رحمه الله: «هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدينا».

وقد فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر «**طهرة للصائم من اللغو والرفث**»(٢).

والكلمة تملكها ما لم تخرج من فيك فإذا خرجت ملكتك.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم *** إن الجواب لباب الشر مفتاح
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف *** وفيه أيضاً لصون العرض إصلاح
أما ترى الأسد تخشى وهي صامتة *** والكلب يُخسى لعمري وهو نباح(٣)

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٣٣٩) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود.

(٣) ديوان الإمام الشافعي (ص:٥١).

الصفة الخامسة والعشرون

حفظ الفرج

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾[المؤمنون: ٥-٦].

الحديث:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(١).

المعنى:

قال الكفوي في الكليات: «كل آية ذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنا».

وقال البغوي: «وحفظ الفرج التعفف عن الحرام» أي: الزنا.

وجاء الأمر بحفظ الفرج بعد الأمر بغض البصر، وقد حث الشرع على الزواج الذي هو سبيل لحفظ الفرج.

قال الإمام الغزالي رحمه الله : «إن في الزواج خمس فوائد -وهي باختصار-:

- الولد.
- كسر الشهوة وحفظ الفرج.
- ترويح النفس وإيناسها.
- تفريغ القلب والمرأة الصالحة عون على الدين.
- مجاهدة النفس في القيام بحقوق الأهل، والسعي في إصلاحهن وإرشادهن»(٢).

قال أبو إدريس الخولاني رحمه الله : «أول ما أوحى الله به إلى آدم عند إهباطه إلى الأرض؛ حفظ الفرج، وقال لا تضعوه إلا في حلال»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٤).

(٢) إحياء علوم الدين.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا شباب قريش، لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة**»[1].

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٦).

الصفة السادسة والعشرون
أداء الأمانة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[المؤمنون:٨].

الحديث:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(١).

المعنى:

الأمانة: ضد الخيانة، وهي حفظ الودائع.

وهي تعم جميع وظائف الدين، وأشدها أمانة المال، ومنها: أعضاء الإنسان فكلها أمانة يسأل عنها العبد يوم القيامة، قال تعالى﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء:٣٦].

روى البيهقي في السنن الكبرى عن أبي بكر ﷺ أنه قال: «أصدق الصدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة».

وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة ﷺ قال: «أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة فسلوها الله».

وقال الشافعي رحمه الله: «آلات الرياسة خمس: صدق اللهجة، وكتمان السر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة»(٢).

إنَّ مما تعجل عقوبته ولا تؤخر: الأمانة تُخان، والإحسان يكفر، والرحم تقطع، والبغي على الناس، وأيما رجل أدّى أمانته طيباً بها نفسه فهو أحد الصديقين... (٣).

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٢٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٧١٧٩).

(٢) سير أعلام النبلاء.

(٣) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٢٠).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تعترض فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين؛ فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحب الفاجر فيُعَلِّمَك من فجوره، ولا تفش إليه سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله عز وجل»[1].

(١) حلية الأولياء (٥٥/١).

الصفة السابعة والعشرون
التواضع

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا**﴾[الفرقان:٦٣].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل**»(١).

المعنى:

التواضع: ضد الكبر، وهو عدم التعالي على أحد من الناس، ولين الجانب لهم من غير مذلةٍ ولا مهانة. وهو الخضوع للحق والانقياد له، وأن يقبله ممن قاله ولو كان صبياً، أو أجهل الناس، أو أقلهم مكانة أو نسباً أو مالاً، والتواضع لا يزيد العبد إلا رفعة وعزاً.

أسباب التواضع:

قال ابن القيم رحمه الله: «التواضع يتولد من العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله، وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها، وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من بين ذلك كله خُلق التواضع».

وقال الإمام النووي رحمه الله: «قوله ﷺ: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**» فيه وجهان:

أحدهما: يرفع في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه.

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعة فيها بتواضعه في الدنيا.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٩).

قال العلماء: وقد يكون المراد الوجهين معاً في جميعها في الدنيا والآخرة والله أعلم»[1].

ولا تتهاون بملاطفة الصغير؛ فإنه سيكبر ولن ينسى لك ذلك الجميل، ولا يغب عن بالك مواساة العامل الغريب؛ فإنه يأنس بذلك، ويرتاح له، ولا تتوان أن تقول للناس حسناً؛ فإن كنت تعرف من تقول له ذلك استملت قلبه، وإن كنت لا تعرفه فقد أسعدته، وكسبت رضا ربك في ذلك كله[2].

قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «التواضع يرفع للمرء قدراً، ويعظم له مكانته ويزيده نُبلاً»[3].

وقال أيضاً: «لا يمتنع من التواضع أحد، والتواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد، وثمرة التواضع المحبة، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته».

(١) شرح صحيح مسلم (١٤٢/١٦).

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:٢١٩).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:٥٠).

الصفة الثامنة والعشرون
عدم قتل النفس إلا بالحق

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان:٦٨].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»(١).

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»(٢).

المعنى:

لا يجوز قتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق كالقصاص.

والنفوس التي حرم الله قتلها أربع وهي:

١- نفس المسلم: قال ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(٣).

٢- نفس الذمي: وهو غير المسلم الذي يقيم في البلاد الإسلامية بالجزية. والجزية: ضريبة يأخذها حاكم المسلمين عوضاً عن حمايتهم وإقامتهم.

٣- نفس المعاهد: الذي بينه وبين المسلمين عهد على إيقاف الحرب وهو في بلاده.

٤- المستأمن: وهو من قدم إلى بلاد المسلمين واستأذنهم بالسكن عندهم لغرض العمل، أو التجارة، أو السياحة، وغيرها.

وقتل أحد هذه النفوس عمداً توعد الله فاعلها بالعذاب العظيم والخلود في النار، ولم يَرِح رائحة الجنة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧).

(٣) أخرجه ابن حبان برقم: (٥٩٧٧) بسند صحيح.

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»[1].

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٨٦٣).

الصفة التاسعة والعشرون
الابتعاد عن شهادة الزور

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢]

الحديث:

عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**» -وجلس وكان متكئاً فقال-: «**ألا وقول الزور**»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[1].

المعنى:

هي الشهادة بالكذب وهي من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر، وبسببها تضيع الحقوق، وتؤكل أموال الناس بالباطل، ولهذا قرنها النبي ﷺ بالشرك وعقوق الوالدين؛ لعظم خطرها، وهي من علامات قيام الساعة.

وشاهد الزور فاسق في الدنيا ومستحق للعذاب في الآخرة، وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويحلق رأسه، ويطوف به في السوق لئلا يغتر بشهادته أحد.

عقوبة شاهد الزور: التعزير، وقد اختلف في كيفية تعزيره:

- فذهب أبو حنيفة والشافعي والحنابلة: يشهر به في سوقه ومصلاه وقبيلته وينادى عليه أنه شاهد زور.

- وذهب صاحبا أبي حنيفة والمالكية: زيادة على التشهير به يوجع ضرباً ويسجن.

وقد جاء عن عمر ﷺ أنه أمر بشاهد الزور فوقفه للناس يوماً إلى الليل يقول: هذا فلان يشهد بزور فاعرفوه، ثم حبسه. وفي رواية: أنه جلده.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٤).

الصفة الثلاثون
التثبت عند سماع الشائعات

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات:٦].

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كفى بالمرءِ كذباً أن يحدث بكل ما سمع**»(١).

المعنى:

التثبت: هو التأكد والتبين من صحة الخبر، والتأني في نقله وعدم العجلة في نشره بين الناس.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «لا تصدق الناقل لأنَّ النمام فاسق، والفاسق مردود الشهادة».

وقد ابتلينا في عصرنا الحاضر بكثرة الشائعات، والتسرع في النقل سيما مع وجود وسائل التواصل الاجتماعي، والقنوات الفضائية والشبكات العنكبوتية التي جعلت العالم كالقرية الواحدة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة الواحدة من سخط الله لا يلقي لها بالاً تكون سبب هلاكه والعياذ بالله.

جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله: وذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر بن عبد العزيز: «إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنتَ كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[الحجرات:٦]، وإن كنت

(١) أخرجه مسلم في المقدمة برقم: (٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٤٤٨٢).

صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ﴾[القلم:١١]، وإن شئت عفونا عنك؟» فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

قال أبو إسحاق القيرواني رحمه الله: «قال بعض الحكماء: إياك والعجلة، فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة؛ لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة، واعتزل السلامة».

الصفة الحادية والثلاثون
الإصلاح بين المتخاصمين

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الحجرات:٩].

الحديث:

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة**»(١).

المعنى:

الإصلاح: هو حل مشكلات المتخاصمين والتوفيق بينهم بالتراضي والتسامح والعفو.

والإصلاح بين الناس منزلة عظيمة، ومرتبة عالية، وهي وظيفة الأنبياء والمصلحين، بل إنَّ الله ﷻ يصلح بين عباده يوم القيامة.

والقيام بهذه الفضيلة أمان من العذاب والهلاك، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[هود:١١٧]، ولم يقل جل ثناؤه وأهلها صالحون؛ لأن صلاح النفس وحده لا يكفي فلا بد من إصلاح الغير.

والمصلح هو: الذي يبذل ماله وجاهه في إصلاح ذات البين ويبذل الجهد والنصيحة والكلمة الطيبة لأجل ذلك، وقد يقع له الحرج أو الأذى، فيصبر عليه إبتغاء ما عند الله تعالى من الأجر والثواب العظيم.

والاشتغال بها أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات.

كما أن الخلاف والشقاق وظيفة شياطين الإنس والجن والمفسدين، والشيطان قد

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني برقم: (٢٦٤٠).

يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن يسعى بالتحريش بينهم.

قال الأوزاعي رحمه الله: «ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة إصلاح ذات البين».

الصفة الثانية والثلاثون
عدم السخرية من الآخرين

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ**﴾ [الحجرات:١١].

الحديث:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «**إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطْرُ الحق وغَمْطُ الناس**»[1].

المعنى:

قال ابن كثير رحمه الله: «ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم».

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: «ليكن حظ المؤمن منك ثلاث: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه»[2].

فاحذر -يا رعاك الله- أن تُعرِّض حسناتك للضياع، ونفسك للآثام وغضب الرب تعالى، فقد يعافيه الله ويبتليك في الشكل أو الخُلُقِ أو الرزق.

وقد كان السلف رحمهم الله يحاسبون أنفسهم على ذلك، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو سخرت من كلب لخشيت أن أكون كلباً».

وقال الدمنهوري رحمه الله: «ثلاثة من علامة سخط الله على العبد: كثرة الغفلة، والاستهزاء بالناس، والغيبة»[3].

وقال وهب بن منبه رحمه الله: «إنَّ أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله: السخرية

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩١).

(٢) تنبيه الغافلين للسمرقندي.

(٣) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٩٨).

بالناس»[1].

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله ما يحل لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير حق، فكيف تؤذي مسلماً ؟!»[2]

(١) حلية الأولياء (٥١/٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٢٧/٨).

الصفة الثالثة والثلاثون
الابتعاد عن اللمز والتنابز بالألقاب

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾[الحجرات:١١].

الحديث:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»(١).

المعنى:

قال ابن كثير رحمه الله: «أي لا تتداعو بالألقاب، وهي التي يكره الشخص سماعها».

واللمز يكون بالقول، والهمز يكون بالفعل، وكلاهما حرام متوعد عليه بالنار، فلا يجوز للمسلم أن يُعيِّر أخاه ويلقبه بلقب يكرهه.

وقد سمع أبو أمامة رضي الله عنه رجلاً يقول للآخر: كيف أصبحت يا أصلع؟ فقال: «يا ابن أخي لقد كنت عن لعنة الله غنياً»(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إن من فعل إحدى الثلاث: السخرية - النبز - اللمز، استحق اسم الفسوق، وهو غاية النقص بعد أن كان كامل الإيمان».

قال سفيان الثوري رحمه الله :- في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١]: «الهمزة: الذي يهمز بلسانه؛ واللمزة: الذي يلمز بعينيه».

قال العلائي رحمه الله: «الألقاب على ثلاث أقسام: قسم منها لا يشعر بذم ولا نقص ولا يكره صاحبه تسميته به، فلا ريب في جوازه، كما في قول النبي ﷺ: «**أصدق ذو اليدين؟**» فقد تقدم أنَّ هذا الصحابي رضي الله عنه كانت يداه طويلتين، وأنه يحتمل أن يكون ذلك كناية عن طولهما بالبذل والعمل، وأياً ما كان، فليس ذلك مما يقتضي ذماً ولا نقصاً.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٠)، ومسلم برقم: (٤٠).

(٢) مساوئ الأخلاق للخرائطي.

وثانيهما: يشعر بتنقيص المسمى به وذمه وليس ذلك بوصف خَلْقِي، فلا ريب في تحريم ذلك لدلالة الآية الكريمة، ولا يزول التحريم برضى المسمى به بذلك، كما لا يرتفع تحريم القذف والكذب برضى المقول فيه بذلك، واستدعائه من قائله.

وثالثها: ما يشعر بوصف خَلْقِي؛ كالأعمى والأعرج والأصم والأشل والأثرم وأشباه ذلك، فما غلب منه على صاحبه حتى صار كالعلم له بحيث إنه ينفك عنه قصد التنقص عند الإطلاق غالباً، فليس بمحرم، ولعل اجتماع أهل الحديث قديماً وحديثاً على استعمال مثل ذلك، ولا يضر كون المقول فيه يكرهه؛ لأن القائل لذلك لم يقصد تنقصه وإنما قصد تعريفه فجاز هذا للحاجة، كما جاز جرح الرواة وذكر مثالبهم للحاجة إليه، وما كان غير غالباً على صاحبه ولا يقصد به العلمية والتعريف له، فلا يسمى لقباً، ولكنه إذا علم رضى المقول فيه بذلك، ولم يقصد تنقصه بهذا الوصف لم يحرم، ومتى وجد أحد هذين كان حراماً والله تعالى أعلم»[1].

(١) شرح المجتبى (٣١٥/١٤).

الصفة الرابعة والثلاثون
عدم سوء الظن

الآية:

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافروا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**»[1].

المعنى:

قال ابن كثير رحمه الله: «سوء الظن هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله».

وهي صفة ذميمة من كبائر الذنوب لها آثارها السيئة على الفرد والمجتمع فربما وقع النزاع بين الأسرة الواحدة وحصلت الفرقة وسببه سوء الظن.

قال الخطابي رحمه الله: «الظن منشأ أكثر الكذب».

فينبغي للمؤمن أن يحسن الظن بإخوانه المسلمين، قال بعض السلف: «إني لألتمس لأخي المعاذير من عذر إلى سبعين ثم أقول: لعل له عذراً آخر لا أعرفه».

فيجب على المسلم مجاهدة ظنونه الفاسدة، وأن يحاول دفعها بصرف الفكر عنها والإقبال على عيوب النفس والاشتغال بتقويمها وإصلاحها.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً *** إن بر عندك فيما قال أو فجرا
لقد أطاعك من يرضيك ظاهره *** وقد أجلك من يعصيك مستترا[2]

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٤)، ومسلم برقم: (٢٥٦٣).

(٢) ديوان الإمام الشافعي (ص:٦٦).

وضع عمر بن الخطاب ﷺ للناس ثمان عشرة كلمة، كلها حكم، قال: «ما كافأت من يعصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن تعرض للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يديه، وعليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعُدة في البلاء، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، واستشر في أمرك الذين يخشون الله، والعاقل يستخبر أمور إخوانه قبل أن يؤخيهم، ومن أصح الخبرة للمرء معرفة حالته بعد هيجان الغضب»[1].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «بحسب المؤمن من الغي أن يؤذي جليسه فيما لا يعنيه، وأن يجد على الناس بما يأتي، وأن يظهر له من الناس ما يخف عليه من نفسه»[2].

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:٧٨-٧٩).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: (٤٦٤٢).

الصفة الخامسة والثلاثون
عدم التجسس

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢].

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً**»(١).

المعنى:

التجسس: هو البحث بوسيلة خفية.

وهو خُلق قبيح وعادة مشينة؛ لأن الأصل في المسلمين السلامة والبراءة، وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «**من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنه الآنُك يوم القيامة**».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الجزاء من جنس العمل والآنُك هو الرصاص المذاب».

ومن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته وفضحه ولو في جوف بيته.

والأصل أن التجسس على المسلمين حرام، وقد يباح التجسس في الحرب ليعلم عددهم وعتادهم ومكانهم، وكذلك من كان بيته معلوماً بالخمر والدعارة له أن يتجسس عليهم ويكشف على مرتكبي المعاصي، بل قد يكون التجسس واجباً، قال ابن الماجشون: «اللصوص وقطاع الطريق أرى أن يطلبوا في مظانهم ويعان عليهم حتى يقتلوا أو ينفوا من الأرض بالهرب».

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٤)، ومسلم برقم: (٢٥٦٣).

فائدة:

تخلف رجل عن الصلاة في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، فرأى عمر وابن عوف امرأته تعطيه قداحاً. فقال عمر: هذا الذي حبسه عنا!

فقال عبدالرحمن بن عوف: وما يدريك ما في القدح؟

قال عمر: أتخاف أن يكون هذا من التجسس؟

فقال عبدالرحمن: بل هو التجسس.

قال عمر: فما التوبة من هذا؟

فقال: ألا يكون في قلبك عليه من هذا المجلس شيء أبداً.(١)

وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال عبدالله: «إنا قد نُهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذه به».

(١) الاستذكار لابن البر، والسيوطي في الدر المنثور، والمصنف لعبد الرزاق.

الصفة السادسة والثلاثون
تركُ الغيبة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[الحجرات:١٢].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**»(١).

المعنى:

الغيبة: هي ذكر العيب بظهر الغيب.

وهي من كبائر الذنوب ومحرمة بالإجماع.

فيجب على المسلم أن يبتعد عنها كل البعد، وهي اليوم للأسف فاكهة المجالس إلا من رحم الله.

والواجب على من وقع في غيبة إخوانه أن يتوب إلى الله تعالى، وأن يتحلل منهم أو يدعو لهم ويستغفر لهم، وإن كان أفسد عليهم شيئاً من مصالحهم فيجب عليه أن يسعى في إصلاح ما أفسد.

قال الحسن البصري رحمه الله: «الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى: الغيبة والإفك والبهتان، فأما الغيبة فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك فأن تقول فيه ما بلغك عنه وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه».

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٥٩٣).

فائدة:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي على من حملت إليه نميمة ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه لأن النمام فاسق.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن ذلك.

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته عنه فيقول: فلان حكى كذا فيصير به نماماً، ويكون آتياً ما نهى عنه. هذا آخر كلام أبي حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكل هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيها مصلحة شرعية، فإن دعت حاجة إليها فلا مانع منها».

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله *** عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك وانهها عن غيها *** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم[1]

يقول الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كم أفسدت الغيبة من أعمال الصالحين، وكم أحبطت من أجور العاملين، وكم جلبت من سخط رب العالمين. فالغيبة فاكهة الأرذلين، وسلاح العاجزين، مضغة طالما لفظها المتقين، نغمة طالما مجها أسماع الأكرمين»[2].

وفقني الله وإياكم لفعل الخيرات وترك المنكرات... آمين.

(١) أبو الأسود الدؤلي.

(٢) التذكرة في الوعظ (ص:١٢٤).

الصفة السابعة والثلاثون
القناعة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه:١٣١].

الحديث:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورُزِقَ كفافاً، وقَنَّعَهُ الله بما أتاه**»(١).

المعنى:

القناعة: ضد التذمر والتشكي، وهي الرضا بما قسم الله ولو كان قليلاً، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين.

وهي علامة على صدق الإيمان، فيحسن بالمؤمن أن يتحلى ويتجمل بها.

قال علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم -في تأويل قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون**﴾[النحل:٩٧] -: «بالقناعة»، كما في تفسير الطبري وابن كثير.

عن عبيدالله بن محصن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمناً في سِرْبِهِ، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»(٢).

قال الشاعر:

هي القناعة لا تبغي بها بدلاً *** فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها *** هل راح منها بغير القطن والكفن(٣)

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٤٦) وحسنه الألباني.

(٣) صفوة التفاسير (٤٤٩/٢).

الصفة الثامنة والثلاثون
بر الوالدين

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:٣٦].

الحديث:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني[1].

المعنى:

بر الوالدين: هو الإحسان إليهما بالرعاية والعناية.

ومنزلة الوالدين في الدين عليَّةٌ وحقها عظيم، فبرهما قرين التوحيد والصلاة، وشكرهما مقرون بشكر الله ﷻ، ورضاهما مقرون برضا الله تعالى، والإحسان إليهما من أَجَلِّ وأحب الأعمال إلى الله تعالى.

وبر الوالدين مما اتفقت عليه الشرائع السماوية، وأقرته الفطر السليمة فهو خلق الأنبياء، ودأب الصالحين، وهو من محاسن الشريعة الإسلامية.

وقد قيل لابن عباس ﷺ صف لنا بر الوالدين؟ فقال: «بر الوالدين كثير لا استطيع وصفه»، قيل له: فما هو العقوق؟ قال: «لو نفضت كُم ثوبك فتطاير الغبار عليهما لكتبت عند الله من العاقين».

صور بر الوالدين:

يأتي بر الوالدين في صور كثيرة، منها:

- طاعتهما في غير معصية الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٥).

- محبتهما واحترامهما والتأدب في الحديث معهما.
- مساعدتهما في قضاء حوائجهما خاصة عند عجزهما وكبرهما.
- برهما بعد موتهما بالدعاء والصدقة، وبر صديقهما.

رزقنا الله وإياكم البر... آمين.

الصفة التاسعة والثلاثون
الرحمة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح:٢٩].

الحديث:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(١).

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»(٢).

المعنى:

الرحمة: هي الرقة والعطف والإحسان إلى الآخرين.

والله تعالى من صفاته الرحمة، بل هو أرحم الراحمين، وأرسل رسوله ﷺ رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

فالإسلام دين الرحمة فقد أمر بالرحمة حتى عند ذبح الحيوانات، وقد ذرفت عين النبي ﷺ بسبب رحمة جمل شكى إليه الجوع والتعب، بل ذكر ﷺ أن إحسان الرجل إلى كلب ورحمته به أنه غفرت ذنوبه وصار من أهل الجنة، وأن امرأة أساءت إلى هرة ولم ترحمها كان سبب دخولها النار.

وفي كتب التاريخ أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما فتح مصر، نزلت حمامة بفسطاطه -أي بخيمته- وعملت لها عُشاً، فكره أن يزعجها فتركها، فتكاثر البنيان حولها وصارت مدينة الفسطاط.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٤١)، والترمذي برقم: (١٩٢٤)وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٥٢٢).

(٢) متفق عليه.

من جوانب الرحمة في حياة نبينا ﷺ:

رحمته بالصغار، ورحمته بالضعفاء، ورحمته بالبهائم، ورحمته بالكفار.

الصفة الأربعون
حُسن الخُلق

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم**﴾[القلم:٤].

الحديث:

عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يُبغض الفاحش البذي**»(١).

المعنى:

الحسن: ضد القبح.

قال ابن المبارك رحمه الله: «حُسن الخُلق هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى».

وقال الإمام الماوردي رحمه الله: «حُسن الخُلق أن يكون المسلم سهل المعاملة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة، فإذا حسُنت أخلاق الإنسان كثُر مصافوه وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولآنت له القلوب الغضاب» أ هـ بتصرف.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٢).

وخص الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالخلق العظيم، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تقوى الله وحُسن الخلق**»(٣).

قال علي ﷺ: «حُسن الخُلق في ثلاث: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسيع على العيال».

وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله: من أحسن الناس خُلقاً؟ قال: «أسهلهم معاشرة».

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٠٢)، وأبو داود برقم: (٤٧٩٩).

(٢) أخرجه البيهقي برقم: (٢٠٥٧١)، ينظر: السلسلة الصحيحة للألباني برقم: (٢٥٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٠٢) وقال: «صحيح غريب».

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله : «اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام».

وقال أبو عثمان رحمه الله : «أصل حُسن الخُلق الرضا عن الله تعالى».

وقيل: لكل بنيان أُساً، وأساس الإسلام حُسن الخُلق[١].

والطبع اللين والكلمة الطيبة هما مفتاح القلوب[٢].

وقد قيل: سبع لا تُعلم إلا بسبع:

- الأخلاق لا تعلم إلا بالسفر.
- والصلاح لا يعلم إلا بالمعاملة.
- والعفة لا تعلم إلا بالظفر.
- والصاحب لا يعلم إلا بالإغضاب.
- والغش لا يعلم إلا بالتجارب.
- والفاضل لا يعلم إلا بالحاجة إليه.
- والدعوى لا تعلم إلا بالامتحان[٣].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا يغرنك خُلق امرئ حتى يغضب، ولا دينُهُ حتى يطمع»[٤].

قال ابن قدامة رحمه الله : «قد تكتب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الخير، فإن الطبع لص يسرق الخير والشر»[٥].

(١) تهذيب الأسرار، لعبدالملك بن محمد الخركوشي.

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٢٤).

(٣) نقايات من غرر الغرر (ص:١٣٤)، ودرر الأقوال من أفواه الرجال (ص:٣٦).

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري (٣٣١/١٠).

(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص١٥٣).

الصفة الحادية والأربعون
الاجتماع وعدم الفرقة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[آل عمران:١٠٣].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**»(١).

المعنى:

أمرنا الله تعالى بالجماعة؛ لأنها رحمة، ونهانا عن الفرقة؛ لأنها هلكة.

فالفرقة أخطر الداء، والجماعة أنفع الدواء، فالخلاف يؤدي إلى الفرقة، والفرقة تؤدي إلى الضعف، وفي الاجتماع تكون الرحمة والقوة والنجاة والنصر على الأعداء، قال ﷺ: «**لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(٢).

فهي سبب الهلاك والهزيمة كما حصل للمسلمين في غزوة أحد، وكان الخلاف والفرقة هو السبب في سقوط الأندلس.

وفي الاجتماع بركة والفرقة تمحقها، قال ﷺ: «**كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة**»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله تعالى ورسوله ﷺ، وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا يتفرقوا فهو من أعظم أصول الاسلام».

وقال البغوي رحمه الله: «بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٥).

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه الطبراني وحسنه الألباني.

الفرقة والمخالفة»[1].

وبالجملة فلابدَّ للمسلمين من كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

(١) تفسير البغوي (١٢٢/٤).

الصفة الثانية والأربعون
الإخاء والأخوة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونْ**﴾ [الحجرات:١٠].

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، «**أَنَّ رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته[١] مَلَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها[٢] ؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل قال: فإني رسول الله إليك أن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[٣].

المعنى:

الإخاءُ والأخوةُ هي علاقة محبة تجمع بين المسلمين وتؤلف بينهم.

وقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار بأخوة الإسلام والدين.

سُئل بعض الحكماء: أي الكنوز خير؟ قال: «أما بعد التقوى فالأخ الصالح».

علامات الأخوة:

الأخوة لها علامات عِده منها:

- النُصرة، «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».
- المواساة.
- طلاقة الوجه.
- قضاء حاجته وتفريج كربته.
- ستر عورته.

(١) أي: طريقه.

(٢) أي: تسعى في صلاحها.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٨٨/٤).

- الدعاء له بظهر الغيب.
- أن يَبَرَّ قَسَمَهُ.
- أن يظهر حسنته ويدفن سيئته.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ثلاث يُصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه».

وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا خرج على أصحابه قال: «أنتم جلاء حزني».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء».

فوائد الأخوة:

- محبة الله تعالى.
- يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.
- أنهم على منابر من نور ويشفع بعضهم لبعض.

وكل جليس لا تستفيد منه خيراً فاجتنبه[1].

قال الشيخ علي بن محمد بن النجم: «لا تهجر من أخيك إلا صفته المذمومة لا ذاته، فإذا تاب منها فهو أخوك»[2].

ومن أحب ثبات الإخوان على وده وثناءهم عليه بكل لسان، يقابلهم إذا آذوه بالحلم والغفران[3].

(١) المختار من مناقب الأخيار (٤/٢٧٥-٢٨١).

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:٢٣٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٣٩).

الصفة الثالثة والأربعون
الاستئذان

الآية:

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونْ﴾ [النور:٢٧].

الحديث:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**»(١).

المعنى:

الاستئذان: هو طلب الإذن في الدخول.

وهو من الآداب الشرعية التي تحفظ عورات الناس وخصوصياتهم.

وله آداب منها:

- السلام قبل الاستئذان.

- الاستئذان ثلاث مرات، قال الإمام مالك رحمه الله: «الاستئذان ثلاث: لا أحب أن يزيد أحد عليها إلا من علم أنه لم يُسمع فلا أرى بأساً أن يزيد إذا استيقن أنه لم يسمع»(٢).

- أن يُعرِّف بنفسه أنا فلان بن فلان.

- أن لا يقف تلقاء الباب ولكن عن يمينه أو يساره.

- أن لا يطرق الباب بعنف.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٢٤٥).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر.

- إذا لم يؤذن له فليرجع مطمئن النفس.

- أن يستأذن الرجل على محارمه من النساء، وكذلك المرأة على محارمها من الرجال، مثل الأم والبنت والأخت والخالة والعمة، وهكذا.

قال رجل لابن مسعود: أأستأذن على أمي؟ فقال: «ما على كل أحيانها تحب أن تراها»[1].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

الصفة الرابعة والأربعون
الاستعانة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِين﴾[البقرة: ٤٥]

الحديث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله، وإذا أستعنت فستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(١)].

المعنى:

الاستعانة: هي طلب العون من الله تعالى.

قال ابن رجب رحمه الله: «والمخلوق يطلب منه على ما يقدر عليه من الأمور، والعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة».

وهي وصية النبي ﷺ لمعاذ دُبر كل صلاة: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك**»[(٢)].

والاستعانة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ويجوز الاستعانة بالمخلوق بشروط وهي:

- أن يكون المخلوق حياً حاضراً قادراً.
- ألا يعتمد بقلبه على المخلوق، وأن يكون اعتماده على الله تعالى والمخلوق سبب فقط.

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥١٦).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٥٢٢).

الصفة الخامسة والأربعون
الاعتراف بالفضل

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير﴾ [البقرة: ٢٣٧].

الحديث:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدو ما تكافئونه فدعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه**»(١).

المعنى:

الاعتراف بالفضل: هو أن يُقِرَّ بالفضل ولا يجحده أو يتناساه، والله تعالى هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة.

والاعتراف بالفضل منزلة جليلة يعود خيرها على الناس جميعاً حيث يؤدي إلى استقرارهم وتآلفهم وتشجيع ذوي الفضل أن يستمروا في تفضلهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل**»(٢).

فينبغي للإنسان أن يكافئ من صنع إليه معروفاً، فإن لم يجد ما يكافئه به فليدع له حتى يظن أنه قد كافئه على إحسانه.

عن أسامه بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء عليه**»(٣).

قال العلامة السعدي رحمه الله: «الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٦٧٢)، وأحمد برقم: (٥٣٦٥) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي وأبو داود.

(٣) أخرجه الترمذي.

فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو أخذ الواجب، وإعطاء الواجب، وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب، والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في بعض الأوقات، وخصوصاً لمن بينك وبينه معاملة أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم».

الصفة السادسة والأربعون
إفشاء السلام

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»[1].

المعنى:

الإفشاء: هو النشر بكثرة.

والسلام: هو التحية، وهو قول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومعناه: السلامة من جميع الآفات، ومنه قيل للجنة دار السلام؛ لأنها سالمة من الآفات، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى.

وإفشاء السلام يجلب المحبة وينشر المودة بين الناس.

وابتداء السلام سنة، ورده واجب، وهو من فروض الكفايات إذا سلم واحد من الجماعة أجزأ عنهم.

وفيه أجر عظيم ثلاثون حسنة، فعلى المسلم أن يكثر منه على الصغير والكبير، والغني والفقير، من عرفت ومن لم تعرف، بل حتى على الأموات.

كيفية السلام على أهل الكتاب:

الرد على تحية اليهود والنصارى إذا سلموا فيه تفصيل:

فإذا قالوا لفظ التحية واضحاً لا لبس فيه «السلام عليكم» فإننا نرد عليهم

(١) أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم: (٥١٩٣).

بلفظ صريح «وعليكم السلام»، قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة[1] : «والرد عليهم بـ (وعليكم) محمول عندي على إذا ما لم يكن سلامهم صريحاً وإلا وجب مقابلتهم بالمثل (وعليكم السلام) لعموم قوله تعالى:﴿**وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا**﴾[النساء:٨٦]، ولمفهوم قوله ﷺ: «**إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليكم فقل وعليك**»[2].

أما إذا قالوا لفظ السلام غير واضح أو بلفظ السام فإننا نرد عليهم بـ وعليكم.

نقل السلام:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: بلَّغني النبي ﷺ أن جبريل يقرأ عليكِ السلام، فقالت: «وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»[3].

وله أن يقول: عليك وعليه السلام، قاله ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين[4].

حكم رد السلام بالإشارة:

الأصل أنه لا يجوز. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا تكفي الإشارة باليد ونحوه وقد أخرج النسائي بسند جيد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرؤس والأكف**». ويستثنى من ذلك حالة الصلاة، فقد وردت أحاديث جيدة أنه ﷺ رد السلام وهو يصلي إشارة، منها: حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً سلم على النبي ﷺ وهو يصلي فرد عليه إشارة، ومن حديث ابن مسعود نحوه، وكذا من كان بعيداً بحيث لا يسمع التسليم يجوز السلام عليه إشارة ويتلفظ مع ذلك بالسلام». أ.هـ

السلام عند دخول البيت:

قال تعالى:﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون**﴾[النور:٦١].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش رُزق**

(١) السلسلة الصحيحة (٢١٥/٥).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) شرح رياض الصالحين (١١/٣).

وكفي، وإن مات أدخله الله الجنة: من دخل بيته فسلم فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله»[1].

قال النووي رحمه الله في الأذكار: «أي صاحب ضمان، والضمان الرعاية للشيء، فمعناه أنه في رعاية الله، وما أجزل هذه العطية، اللهم ارزقناها». أ.هـ

وقال القرطبي رحمه الله: «والأوجه أن يقال: إن هذا عام في دخول كل بيت فإن كان فيه: ساكن مسلم يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وإن لم يكن فيه ساكن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وإن كان في البيت من ليس بمسلم قال: السلام على من اتبع الهدى، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». أ.هـ

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٢١) وقال الألباني: صحيح.

الصفة السابعة والأربعون
تعظيم الحرمات

الآية:

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج:٣٠]

الحديث:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: «**الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»(١).

المعنى:

التعظيم: هو التفخيم والتبجيل.

وحرمات الله تشمل كل ما أوصى الله بتعظيم أمره؛ فتشمل مناسك الحج كلها، والعلم بوجوبها والقيام بحقوقها ويكون ذلك بتعظيم الأمر والنهي وتعظيم الآمر والناهي وهو الله تعالى ورسوله ﷺ، وأن يطلب الثواب والجزاء من الله تعالى.

قال ابن القيم في مدارج السالكين: «ومن منازل: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين**﴾[الفاتحة:٥] منزلة تعظيم حرمات الله عز وجل».

قال بلال بن سعد رحمه الله: «لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظم من عصيت».

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

الشعر، وإنَّا كنا لنعدها على زمن رسول الله ﷺ من الموبقات[1]».

وفي الجملة تعظيم حرمات الله دليل الإيمان، وعلامة التقوى، وسبيل السائر إلى الله تعالى.

(١) أي: المهلكات.

الصفة الثامنة والأربعون
تفريج الكربات

الآية:

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٤]

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(١).

المعنى:

تفريج الكربات: هي السعي في قضاء حاجة المكروب، والكربة هي الشدة العظيمة.

وهي خلق عظيم، وأدب رفيع، حث عليه الإسلام ورتب عليه أجوراً عظيمة، وأنه يفتح لصاحبه طريقاً إلى الجنة، وفيه النجاة من كرب يوم القيامة، وهو من صنائع المعروف التي تقي مصارع السوء والهلكة، ومن فرَّج عن أخيه رزقه الله تعالى بمن يفرِّج عنه عند كربته، والجزاء من جنس العمل.

ومن أهم الوسائل لتفريج الكرب عن الآخرين:

- الدعاء لهم بظهر الغيب.
- بذل المال لهم إما لإطعامه، أو لقضاء دينه، أو غير ذلك.
- الشفاعة لهم.

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «من كفارات الذنوب العِظام؛ إغاثة الملهوف، والتنفيس

(١) أخرجه أبو داود وصححه الألباني برقم: (٤٩٤٦).

عن المكروب»[1].

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «هذا حديث عظيم، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك»[2].

علاج الكرب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»[3].

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١١٧/١).

(٢) شرح الأربعين (ص:١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٤٥).

الصفة التاسعة والأربعون
تلاوة القرآن

الآية:

قال الله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:٤].

الحديث:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لله أهلين من الناس**» قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»(١).

المعنى:

الترتيل هو: تبيين جميع الحروف وأن يوفيها حقها من الاستماع.

والقرآن هو كلام الله تعالى وصراطه المستقيم، ورسالته الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته الواسعة، ونعمته السابغة، وحجته الدامغة.

وحامل القرآن حامل راية الإسلام من ختمه فله دعوة مستجابة، بكل حرف حسنة، وأهل القرآن يذكرهم الله فيمن عنده، ويبعثهم يوم القيامة مع السفرة الكرام البررة، ومن يتلوه ويتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران.

آداب تلاوة القرآن:

يستحب لمن أراد تلاوة القرآن آداب منها:

- أن يكون على طهارة تامة.
- أن يستعمل السواك.
- أن يكون في مكان محترم ونظيف.
- أن تكون تلاوته مع حضور القلب والتدبر والتفكر في معانيه.

قال عثمان بن عفان ﷺ: «لو طهُرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله تعالى».

والقرآن سبب للرفعة، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «**إن الله**

(١) أخرجه النسائي (٢٦٣/٧) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم: (٢١٥).

يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»[1].

وهو بركة في الدنيا والآخرة، وشفاء ورحمة من الأمراض والأوجاع، قال الله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا**﴾[الإسراء:٨٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ضمن الله لمن اتبع القرآن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة».

ومن يتلو القرآن تنزل عليه السكينة وتغشاه الرحمة وتحفه الملائكة ويذكره الله فيمن عنده، وهو الصاحب الوفي يأتي يوم القيامة شفيعاً لصاحبه.

وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته. ويكفيه شرفاً أنه كلام الله تعالى.

هجر القرآن:

قال ابن القيم رحمه الله: «هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به.

والثاني: هجر العمل به وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه.

والرابع: هجر تدبره.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾[الفرقان:٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»[2].

(١) صحيح مسلم برقم (٨١٧).

(٢) نقلًا من محاسن التأويل (٥٧٥/١٢).

الصفة الخمسون
حفظ الأيمان (الحلف)

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونِ**﴾ [المائدة:٨٩].

الحديث:

عن عصمة بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم غداً: شيخ زان، ورجل اتخذ الأيمان بضاعة يحلف في كل حق وباطل، وفقير مُختال مزهو**»(١).

المعنى:

على المسلم أن لا يحلف إلا وهو صادق، ولا يحلف إلا عند الحاجة، وأن لا يكثر من الحلف؛ لأنه من شأن أهل النفاق قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ**﴾[القلم:١٠].

وعلى المسلم إذا حلف أن يكون أيمانه بالله تعالى وأسمائه وصفاته، ولا يجوز الحلف بغير الله ولو بنبي.

ومن لم يوفِ بيمينه فعليه كفارة: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

وذكر أهل التفسير كالطبري والقرطبي وغيرهما: أن حفظ اليمين يكون بثلاثة أمور وهي:

- ألا يحلف بالله كذباً.
- عدم الإكثار من الحلف.
- ألا يحنث فيها إذا حلف، إلا إذا كان الحنث خيراً كما في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني والله -إن شاء الله- لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها**»(٢) أي كفرت عنها.

(١) أخرجه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٠٧٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٤٢)، ومسلم برقم: (١٦٤٩).

الصفة الحادية والخمسون
العناية بحق الجار

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾ [النساء:٣٦].

الحديث:

عن عائشة وابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(١).

المعنى:

هو بذل الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم، والصبر على أذاهم.

وهذا يدل على إكرام الجار المسلم والكافر وطيب المعاملة له.

وهو من شُعب الإيمان وسمات المؤمنين، بل بين النبي ﷺ أن خير الناس وأفضلهم هو خيرهم لجاره فقال: «**خير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»(٢).

تعريف الجار:

قال علي ﷺ: «من سمع النداء فهو جار» نقله الحافظ في الفتح.

وقيل: حد الجار أربعون داراً من كل ناحية، نُقِلَ عن عائشة والحسن والأوزاعي.

وحقوق الجار كثيرة منها:

الإحسان إليهم قولاً وفعلاً، وقد كان أبو ذر ﷺ يقول: «أوصاني خليلي ﷺ إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف».

ويبدأ بالجار الأقرب كما عند البخاري، عن عائشة ﷺ قالت: يا رسول الله إنَّ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٦٨)، ومسلم برقم: (٢٦٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (١٩٤٤).

لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال ﷺ: «**إلى أقربهما منك باباً**».

قال سفيان الثوري رحمه الله: «عشرة أشياء من الجفاء:

- رجل أو امرأة يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه والمؤمنين.
- رجل قرأ القرآن ولا يقرأ في كل يوم مائة آية.
- رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين.
- رجل يمر على المقابر ولم يسلم عليهم ولم يدع لهم.
- رجل دخل مدينة يوم الجمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة.
- رجل أو امرأة نزل في محلتهما عالم ولم يذهب إليه أحد ليتعلم منه شيئاً من العلم.
- رجلان ترافقا ولم يسأل أحدهما عن اسم صاحبه.
- رجل دعاه رجل إلى ضيافة فلم يذهب إلى الضيافة.
- شاب يضيع شبابه وهو فارغ ولم يطلب العلم والأدب.
- رجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه شيئاً من طعامه»[1].

(١) تنبيه الغافلين (ص ١٠٥-١٠٦).

الصفة الثانية والخمسون
الحكمة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل:١٢٥].

الحديث:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(١).

المعنى:

قال ابن القيم رحمه الله: «الحكمة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»(٢).

والحكمة: هي وضع الشيء في موضعه وإيقاعه على أحسن الوجوه.

وكفى بالحكمة شرفاً وفضلاً أنَّ الله وصف ذاته العلية بها في غير موضع من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿**قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيم**﴾[الذاريات: ٣٠].

ومن أوتي الحكمة والقرآن فقد أوتي خيراً كثيراً، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَاب**﴾[البقرة:٢٦٩].

روى ابن وهب عن مالك أنه قال: «الحكمة: هي المعرفة بالدين والفقه في التأويل، والفهم الذي هو سجية، ونور من الله تعالى»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٧٤١)، ومسلم برقم: (٨١٦).

(٢) مدارج السالكين (٤٤٩/٢).

(٣) تفسير القرطبي.

وكان يُقال: إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض فإذا سمع تعليم المعلم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم والحكمة هي القرآن.

ومن أراد أن يتصف بالحكمة فعليه بتقوى الله، والتقوى طريق للعلم، والعلم بالشيء والخبرة فيه تسهل التعامل معه بالطريقة الأنسب والأفضل، واتخاذ القرار الأسلم لذلك الأمر، وهذه هي الحكمة، قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة:٢٨٢].

أقوال في الحكمة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كونوا ربانيين حكماء فقهاء»(١).

وعن عكرمة قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: «لا تطرح اللؤلؤ للخنزير، فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً، ولا تعطِ الحكمة لمن لا يريدها، فإن الحكمة خير من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شرُ من الخنزير»(٢).

وعن ابن عيينة قال: «كان يقال إن أفضل ما أعطي العبد في الدنيا الحكمة، وفي الآخرة الرحمة»(٣).

وقال وهيب بن الورد: «بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت، والعاشرة في عزلة الناس»(٤).

قال أبان بن سلم: «كلمة حكمة لك من أخيك، خير لك من مال يعطيك؛ لأن المال يطغيك، والكلمة تهديك»(٥).

وقال أبو القاسم الجنيد بن محمد وقد سئل: بم تأمر الحكمة؟ قال: «تأمر الحكمة بكل ما يحمد في الباقي أثره، ويطيب عند جملة الناس خبره، ويؤمن في العواقب ضرره»(٦).

وقال مالك بن دينار: «قرأت في بعض كتب الله: أن الحكمة تزيد الشريف شرفاً،

(١) فتح الباري (١٩٢/١).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٤٥٠/١).
(٣) المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٣٠٤/٦).
(٤) العزلة للخطابي (ص:١٩).
(٥) بهجة المجالس لابن عبد البر (٥/١).
(٦) حلية الأولياء (٢٦١/١٣).

وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك»[١].

وقال إبراهيم الخواص: «الحكمة تنزل من السماء، فلا تسكن قلباً فيه أربعة: الركون إلى الدنيا، وهمُ غدٍ، وحب الفضول، وحسد أخ»[٢].

وقال ابن الجوزي: «لكل باب مفتاح ومفتاح الحكمة طرد الهوى»[٣].

سُئل لقمان الحكيم كيف أُوتيت الحكمة؟ قال: «بشيئين: لا أتكلف ما كُفيت، ولا أضيع ما كُلِّفت»[٤].

(١) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري (ص:٥٠).

(٢) حلية الأولياء (٣٢٦/١٣).

(٣) التبصرة لابن الجوزي (٣٩٦/١).

(٤) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢٣٤/٢).

الصفة الثالثة والخمسون
الحياء

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين**﴾ [القصص:٢٥].

الحديث:

عن عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[1]، وفي رواية: «**الحياء خير كله**».

المعنى:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «الحياء خُلق يحمل على إتيان الحميد وترك القبيح».

والحياء شعبة من شعب الإيمان، قال علي ﷺ: «من كسا بالحياء ثوبه لم يرَ الناس عيبه».

إن العباد عملوا على أربع منازل: على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء، فأرفعهم منزلة أهل الحياء؛ لأن الحياء خير كله، وقلة الحياء علامة الشقاوة وعقوبة المعاصي.

أنواع الحياء:

- حياء من الله تعالى، وهو دليل المحبة والتعظيم، ويكون كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى**»[2].

- حياء من الناس، وهو دليل الأدب والمروءة، ويكون بمعرفة حقوقهم وكف الأذى عنهم.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إن الحياء ليدل على هَنَاتٍ ذات ألوان، من استحيا

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦١١٧)، ومسلم برقم: (٣٧)، وفي رواية لمسلم برقم: (٤٧٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي وأحمد وحسنه الألباني.

استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وُقِيَ»[1].

والمرأة أشد حياءً من الرجل، كانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تدخل بيتها الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فتضع ثيابها وتقول: «إنما هو زوجي وأبي» فلما دفن عمر معهما تقول: «والله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياءً من عمر»[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «أصول الأخلاق أربعة هي: الشجاعة والكرم والصبر والحياء، ومرجع هذه الثلاثة الأُول إلى الحياء، وذلك أن الرجل إذا كان حيياً وكان في معركة فإنه يستحي أن يفر فيكسبه الحياء الشجاعة، والرجل إذا كان حيياً وطلب منه ذو حاجة وهي عنده فإنه يستحي أن يرده فيكسبه الحياء الكرم، وإذا كان الرجل حيياً وأصابته مصيبة فإنه لا يجزع فيكسبه الحياء الصبر. وذكر خصلة رابعة وهي العفة ويقول إذا كان الرجل حيياً فإنه يستعف أن يقع في المحارم فيكسبه الحياء عفة».

ولذلك قال النبي ﷺ: «**الحياء كله خير**»[3].

عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال: «إذا سكن القلب الحياءُ من الله عز وجل، فقد ارتحلت عنه الشهوات».

وقال أيضاً: «إذا استحياء العبد فقد استكمل الخير».

وقال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني، كل أمر حدثت به نفسك مما لو أخرجته للناس استحييت منهم فأخرجه من قلبك، فإن الله عز وجل أحق أن تستحييه»[4].

فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً.

قال أبو حاتم رحمه الله: «إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه، ودفن مساويه ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُقت، ومن مُقت أوذي، ومن أوذي حزن»[5].

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص:٩٤).

(٢) أخرجه أحمد والحاكم.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٣٧).

(٤) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١١٥).

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٤٨-٤٩).

الصفة الرابعة والخمسون
الرضا

الآية:

قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

الحديث:

عن العباس بن عبدالمطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا**»(١).

المعنى:

الرضا: ضد السخط، وهو سرور القلب بمُرِّ القضاء.

وقد أجمع العلماء على أنه مستحب مؤكد استحبابه.

ومدح الله تعالى أصحابه، قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟ فقال: «إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت».

أنواع الرضا بالقضاء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والرضا بالقضاء ثلاثة أنواع:

أحدها: الرضا بالطاعات؛ فهذا طاعة مأمور بها.

والثاني: الرضا بالمصائب فهذا مأمور به: إما مستحب وإما واجب.

والثالث: الكفر والفسوق والعصيان، فهذا لا يؤمر بالرضا به بل يؤمر ببغضه وسخطه فإن الله لا يحبه ولا يرضاه»(٢).

فالواجب: هو ما يوازي الصبر وهو الدرجة الأولى من الرضا.

وأما الدرجة العليا من الرضا عند المصيبة التي فيها سكينة النفس التامة وحمد الرب سبحانه... وهذه عزيزة لا يصل إليها إلا قلة من المخلوقين. والله من رحمته لم

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤).

(٢) مجموعة الفتاوى (١٠/٤٨٢-٤٨٣).

يوجبه عليهم لأنهم لا يستطيعونه.

والرضا بالمعصية معصية... والرضا بالكفر كفر.

ومن أراد أن يحصل له الرضا عن الله، الذي هو من أفضل الدرجات، فليلزم ما جعل رضاهُ فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا[1].

قال عبدالواحد بن زيد: «ما أحسب شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أرفع ولا أشرف من الرضا، وهي رأس المحبة»[2].

رزقني الله وإياكم تمام الرضا بمر القضاء... آمين.

(١) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١١٦).

(٢) المختار من مناقب الأخيار.

الصفة الخامسة والخمسون
الكرم والجود

الآية:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٤]

الحديث:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله**»(١).

المعنى:

الكرم: ضد البخل، وهو بذل المال.

والكريم قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن الجنة، وبعيد عن النار، والبخيل بعيد من الجنة قريب من النار، فجود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده.

وصفه الكرم من صفات الله عز وجل فهو أكرم الأكرمين يعطي ولا يأخذ ويطعم ولا يُطعم .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «الجود حارس الأعراض»(٢).

وقال الجنيد رحمه الله: «أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قلَّ علمه: الحلم، والتواضع، والسخاء، وحُسن الخُلق»(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «السخاء نوعان: فأشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك.

والثاني سخاؤك ببذل ما في يدك، فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٤٢٧)، ومسلم برقم: (١٠٣٤).

(٢) تفسير الزمخشري.

(٣) فيض القدير (٢٢٦/١١).

يعطيهم شيئاً لأنه سخي عما في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرعاً، وعن مال غيرك متورعاً».

وقال مطرف بن عبدالله بن الشخير رحمه الله: «يا أبا فلان، إذا كانت لك إليَّ حاجة فلا تكلمني فيها، ولكن اكتبها إليَّ في رقعة ثم ارفعها إليَّ، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال».

وقد قال الشاعر[1]:

لا تحسبن الموت موت البلى *** وإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكنَّ ذا *** أشد من ذاك لذل السؤال

وقال علي رضي الله عنه: «حسب البخيل سوء ظنه بربه عز وجل، ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية»[2].

وقال أكثم بن صيفي رحمه الله: «الشح فقر حيث كان، والسخاء غنى حيث كان».

وأنشدوا للإمام الشافعي رحمه الله:

يا لهف نفسي على مالٍ أفرقه *** على المقلين من أهل المروءات
إنَّ اعتذاري إلى من جا يسألني *** ما ليس عندي من إحدى المصيبات[3]

قال سعيد بن العاص الأموي رحمه الله -وهو يوصي ابنه-: «يا بني، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة، فأما إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه ومخاطراً لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته»[4].

(١) حلية الأولياء (٢/١٩٨-٢١٠).
(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٥٥).
(٣) تهذيب الأسرار للخركوشي (ص:٢٨٥-٢٨٦).
(٤) تهذيب الكمال (١٠/٥٠٧).

الصفة السادسة والخمسون
عيادة المريض

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»(١).

المعنى:

عيادة المريض: هي زيارته وتفقد أحواله.

وهي من الآداب الشرعية التي حث ورغب الإسلام فيها، ورتب عليها الأجور العظيمة.

فتستغفر الملائكة لمن زار مريضاً، فقد روى أحمد والترمذي عن أبي موسى ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يعود مسلماً غدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشيةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة**».

وهي سبب لنزول الرحمة، قال ﷺ: «**من عاد مريضاً خاض في الرحمة حتى إذا قعد استقر فيها**». رواه البخاري في الأدب المفرد. وغير ذلك كثير.

آداب زيارة المريض:

- اختيار الوقت المناسب.
- سؤال المريض عن حاله.
- الدعاء له وأن يرقيه بالفاتحة.
- أن ينصحه بالصبر ويذكره بالأجر والثواب.

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٢٤٠)، ومسلم برقم: (٢٠٦٦).

- ألا يطيل الجلوس عنده، قال بعض الظرفاء لقوم عادوه في مرضه فأطالوا الجلوس: «المريض يعاد، والصحيح يزار».

- أن يبث فيه الأمل.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجملة آداب العيادة عشره أشياء، ومنها: ما لا يختص بالعيادة: أن لا يقابل الباب عند الاستئذان، وأن يدق الباب برفق، وأن لا يُبهم نفسه كأن يقول أنا، وأن لا يحضر في وقت يكون غير لائق بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء، وأن يخفف الجلوس، وأن يغض البصر، ويقلل السؤال، وأن يظهر الرقة، وأن يُخلص الدعاء، وأن يوسع للمريض في الأمل، ويشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحذره من الجزع لما فيه من الوزر» أ.هـ.

صورة للاستشفاء من المرض:

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «حماقة العائد أشر على المرضى من أمراضهم، يجيئون من غير وقت، ويطيلون الجلوس».

جاء عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يشكو وجعاً في جسده، فقال له: «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[1].

(١) أخرجه مسلم (١٨٩/١٤).

الصفة السابعة والخمسون
كفالة اليتيم

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيم**﴾[البقرة:٢١٥].

الحديث:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى وفَرَّجَ بينهما شيئاً[١].

المعنى:

الكافل: هو العائل.

واليتيم: هو من مات والده وهو دون البلوغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم.

قال ابن بطال رحمه الله: «حق على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك».

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ، وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى وهو نظير الحديث الآخر: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» الحديث..».

وقال الإمام النووي رحمه الله: «قوله ﷺ «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**»، كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك، هذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه، أو من مال اليتيم بولاية شرعية، وأما قوله: «**وله أو لغيره**» فالذي له أن يكون قريباً له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وخالته وغيرهم من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبياً»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٣٠٤)، ومسلم برقم: (٢٩٨٣).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/٤٠٨).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «كفالة اليتيم هي القيام بما يصلحه في دينه ودنياه، بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن»[1].

وحذر الله أشد التحذير من أكل أموالهم ظلماً وأنه من السبع الموبقات المهلكات.

وكفالة اليتيم تزكي المال وتطهره، وبركة تحل على الكافل وتزيد من رزقه.

(١) شرح رياض الصالحين (١١٣/٥).

الصفة الثامنة والخمسون
المسارعة في الخيرات

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [المؤمنون:٦١].

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(١).

المعنى:

أمر الله تعالى المؤمنين بالمسارعة إلى الصالحات والمسابقة في عمل الخيرات ووصفهم بذلك.

والعجلة مذمومة في كل شيء إلا في باب الخير، ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ [طه:٨٤].

فوائد المسارعة في الخيرات:

- دليل على حسن الإيمان وصدق اليقين.
- دليل على حب الله تعالى للعبد حيث جعله من مفاتيح الخير.
- سبب لتفريج الكربات، وستر العيوب.
- سبب لاستجابة الدعاء وقبول الرجاء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما -في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾[المؤمنون:٦١]-: «سبقت لهم السعادة من الله».

وقال خالد بن معدان رحمه الله: «إذا فُتح لأحدكم باب خير فليسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عنه»(٢).

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٨).

(٢) حلية الأولياء (٥/٢١٠-٢١١).

صورة من صور المسارعة في الخيرات:

أبو طلحة الأنصاري ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[آل عمران:٩٢]، وإنَّ أحب أموالي إليَّ بيرُحَاء، -وكانت حديقة يدخلها النبي ﷺ ويستظل بها، ويشرب من مائها-، فهي إلى الله ﷻ وإلى رسول الله ﷺ، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال ﷺ: «**بَخٍ يا أبا طلحة ذاك مال رابح، قبلناه منك ورددناه عليك، فاجعله في الأقربين**»، فتصدَّق به أبو طلحة على ذوي رحمه[1].

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦١)، ومسلم برقم: (٩٩٨).

الصفة التاسعة والخمسون
محاسبة النفس

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]

الحديث:

عن حنظلة ﷺ قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنها رأي عين، فإذا خرجنا عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» ثلاث مرات[1].

المعنى:

قال ابن الحاج رحمه الله: «المحاسبة: حبس الأنفاس، وضبط الحواس، ورعاية الأوقات، وإيثار المهمات»[2].

والمحاسبة هي أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محموداً أمضاه، وإن كان مذموماً استدركه وانتهى عن مثله، والمؤمن قوام على نفسه ويحاسب نفسه لله ليخف عليه الحساب يوم القيامة.

وأصل محاسبة النفس: الخوف والرجاء.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٥٠).

(٢) المدخل (١٤/١).

سبب هلاك القلب:

قال ابن القيم رحمه الله: «وهلاك القلب من إهمال محاسبتها، ومن موافقتها واتباع هواها».

أنواع المحاسبة:

وتكون المحاسبة إما على طاعة فرط فيها أو لم يقم بها على وجه المطلوب، أو على معصية ارتكبها.

روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية».

الصفة الستون
الولاء والبراء

الآية:

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:٢٥٧].

الحديث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»(١).

المعنى:

الولاء: هو حب الله ورسوله والمؤمنين.

والبراء: هو بغض من خالف الله ورسوله والمؤمنين.

وهو من أوثق عرى الإيمان، بل من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان وذاق حلاوته وحقق التوحيد.

قال سليمان بن عبدالله رحمه الله: «فالولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، والدعاء لهم، والسلام عليهم، وزيارة مريضهم، وتشييع ميتهم، وإعانتهم، والرحمة بهم، وغير ذلك».

والبراءة من الكفار تكون ببغضهم -ديناً- ومفارقتهم، وعدم الركون إليهم، أو الإعجاب بهم، والحذر من التشبه بهم، وتحقيق مخالفتهم شرعاً، ونحو ذلك(٢).

والولاء والبراء مراتب:

فمن الناس: من يحب جملة وهو من قام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام.

---

(١) رواه الطبراني (١١/٢١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٢٥٣٩).

(٢) أوثق عرى الإيمان (ص:٤٩-٥١).

ومنهم: من يحب من وجه ويبغض من وجه وهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

ومنهم: من يبغض جملة وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

قال محمد بن الحنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أحب رجلاً لله أثابه الله ثواب من أحب رجلاً من أهل الجنة، وإن كان الذي أحبه من أهل النار؛ لأنه أحبه على خصلة حسنة رآها منه، وإن كان الذي أبغضه من أهل الجنة؛ لأنه أبغضه على خصلة سيئة رآها منه»[1].

(١) المختار من مناقب الأخيار.

الصفة الحادية والستون
حسن العشرة بين الزوجين

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[النساء:١٩].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضِلَعٍ وإن أعوج شيء في الضِلَعِ أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً**»(١).

المعنى:

حسن العشرة: أن يُعامل كل من الزوجين صاحبه باللطف والرفق فلا يؤذيه بقول أو فعل، مع ذكر المحاسن، والتغاضي عن المساوئ.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «وأقل ما يجب في أمر العشرة بالمعروف أن يؤدي الزوج إلى زوجته ما فرض الله لها عليه من نفقة، وكسوة، وترك ميل ظاهر فإنه يقول تعالى: ﴿**فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[النساء:١٢٩]، وجماع المعروف إثبات ذلك بما يحسن لك ثوابه وكف المكروه»(٢).

الحقوق بين الزوجين:

قال تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَالله عَزِيزٌ حَكِيم**﴾[البقرة:٢٢٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢/٢)، (٤٤٠/٣)، ومسلم برقم: (١٧٨/٤).

(٢) الأم (١١٤/٥).

حقوق الزوج: المهر، والنفقة، والسكن، والعدل، وحسن الصحبة.

حقوق الزوجة: الطاعة فالرجال قوامون على النساء، والاستمتاع، وأن لا تدخل بيته أحداً يكرهه ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، وأن تخدمه بالمعروف.

وقد جاء في الأثر: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم».

وصية أم حكيمة عاقلة:

لما خطب عمر بن حُجْر الكندي إلى عوف بن ملحم الشيباني ابنته أم إياس وأجابه إلى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما وصتها به أن قالت: أي بنية إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي منه درجت إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه فكوني له أمةً ليكون لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً.

فأما الأولى والثانية: فالرضا والقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالإحراز لماله، والإرعاء على حشمه وعياله.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصي له أمراً، ولا تفشي له سراً.

الصفة الثانية والستون
قضاء حوائج الناس

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّه إِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَاب﴾[المائدة:٢].

الحديث:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد ويُقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها عنهم وحولها إلى غيرهم**»(١).

المعنى:

قضاء حوائج الناس: السعي في مصالح العباد ومعونتهم على ذلك.

وهي من الآداب الشرعية والأخلاق السامية، بل إنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي في حاجة أخي المسلم أحب من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً**»(٢).

وتكون قضاء الحاجة تارة بالمال، وتارةً بتعليمه العلم، وتارةً بالشفاعة الحسنة، وغير ذلك.

وقضاء حوائج الناس أفضل من صلاة النافلة والتطوع.

قيل لابن المنكدر رحمه الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إدخال السرور على المؤمن»، قيل: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: «الإفضال على الإخوان».

وقال وهب بن منبه رحمه الله: «إن أحسن الناس عيشاً من حسَّن عيش الناس في عيشه، وإن ألذ اللذة الإفضال على الإخوان».

---

(١) أخرجه الطبراني برقم: (١٣٣٣٤) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٨/٢).

(٢) أخرجه الطبراني برقم: (٦٠٢٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (١٧٦).

وخلاصة آداب قضاء حوائج الناس في قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يتم العمل إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإنه إذا عجله هنأه، وإذا صغره عظمه، وإذا ستره تممه».

الصفة الثالثة والستون
سلامة الصدر

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون**﴾[الحشر:٩].

الحديث:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب، صدوق اللسان**»، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد**»[(١)].

المعنى:

سلامة الصدر: هو صفاء القلب وامتلاؤه تقوى ومحبة ورحمة وخلوه من الحسد والحقد والكراهية والغش والبغضاء.

ومن فوائده: النصر على الأعداء، وقبول الأعمال، وطريق إلى الجنة، والنجاة من النار.

ومن صلحت سريرته صلحت علانيته.

قال بعض السلف -وقد سُئل عن أعمال من قبلنا فقال-: «كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً»، قيل لما ذاك؟ قال: «لسلامة صدورهم»[(٢)].

وقال القاسم الجوعي رحمه الله: «أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأقصر طريق الجنة سلامة الصدر»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (٤٢١٤) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم: (٣٣٩٧).

(٢) الزهد لابن السري.

(٣) بستان العارفين للنووي.

فائدة:

قال ابن القيم رحمه الله: «لا تتم سلامة القلب حتى يسلم من خمسة أشياء:

١- شرك يناقض التوحيد.

٢- بدعة تخالف السنة.

٣- شهوة تخالف الأمر.

٤- غفلة تناقض الذكر.

٥- هوى يناقض الإخلاص».

أسباب سلامة الصدر:

أسباب سلامة الصدر التي تذيب الأحقاد، وتجلب المودة بين الناس كثيرة، منها:

- الابتعاد عن الوقوع في الذنوب والمعاصي.

- دفع السيئة بالحسنة من أسباب سلامة القلوب.

- نور الإيمان الصادق الذي يقذفه الله تعالى في قلب العبد مع العمل الصالح من أعظم أسباب سلامة الصدر.

- العلم النافع مع العمل الصالح، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع.

- دوام ذكر الله تعالى على كل حال، وفي كل موطن، فللذكر تأثير عجيب في سلامة الصدر وانشراحه، ونعيم القلب، وزوال الهم والغم.

- ترك فضول النظر، والكلام، والاستماع، والمخالطة، والأكل، والنوم، فإن ترك ذلك من أسباب شرح الصدر وسلامته، ونعيم القلب وزوال همه وغمه.

- النظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك، في العافية وتوابعها، والرزق وتوابعه، يسبب سلامة الصدر وانشراحه.

- اعتماد القلب على الله، والتوكل عليه، وحسن الظن به سبحانه وتعالى.

- إفشاء السلام.

- الهدية تجلب المحبة.

- الصدقة والإحسان ما أمكن، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في سلامة الصدر.

- الهُدى والتوحيد الخالص من أعظم أسباب سلامة الصدر.

- أن لا يطلب العبد الشكر على المعروف الذي بذله وأحسن به إلا من الله.

- ترك العتاب على ما حصل من الأقرباء وغيرهم في الماضي.

- يعلم أن أذية الناس لا تضره خصوصاً في الأقوال الخبيثة، بل تضرهم فلا يضع لها بالاً، ولا فكراً، حتى يكون صدره سليماً بإذن الله تعالى.

- الرغبة في الأجر والثواب الذي يحصل بسبب العفو والصفح.

- الرغبة فيما عند الله تعالى لمن كظم غيظاً.

- الدعاء بإذهاب سخيمة القلب.

- صوم رمضان مع صوم ثلاثة أيام من كل شهر، يذهب حقد وغش ووسوسة الصدر؛ لقول النبي ﷺ: «**صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر، يذهبن وَحَرَ الصدر**».

الصفة الرابعة والستون
العفة والعفاف

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ الله مِن فَضْلِهِ**﴾[النور:٣٣].

الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**»[1].

المعنى:

العفة: هي الكف عما لا يباح.

وقد اتفق العقلاء على أن العفة من أعظم خصال أهل الشرف والمروءة والإيمان، ومن أعظم مقامات الصبر.

والمرأة العفيفة الحيية إنما تعرف بكمال حجابها، وكمال تسترها كما أمر الشرع بتغطية جميع بدنها وستره.

والحجاب عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى وليست عادة بل جزء من الدين، يحفظ على المسلمين دينهم ويصون عرضهم ويحرس فضيلتهم.

شروط الحجاب:

للحجاب شروط نذكرها باختصار وهي:

- أن يكون ساتراً لجميع بدن المرأة.
- أن يكون فضفاضاً واسعاً.
- أن يكون غير شفاف «خفيف يصف البدن ولا يستره».
- أن لا يكون الحجاب في نفسه زينة.

---

(١) أخرجه النسائي برقم: (٣١٢٠)، والترمذي برقم: (١٦٥٥)، وابن ماجه برقم: (٢٥١٨) وحسنه الترمذي والبغوي في شرح السنة (٦/٥) وصححه ابن العربي في عارضة الأحوذي (٥/٣) وجود إسناده ابن باز في حاشية بلوغ المرام (ص٧٦٥).

- أن لا يكون معطراً ولا مبخراً.
- أن لا يشبه لباس الرجال.
- أن لا يشبه لباس الكافرات.
- أن لا يكون لباس شهرة.

الصفة الخامسة والستون
غض البصر

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُون ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**﴾[النور: ٣٠-٣١].

الحديث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**»، قالوا: يا رسول الله ما لنا بدٌ من مجالسنا نتحدث فيها. قال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**»، قالوا: وما حقه؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[1].

المعنى:

غض البصر: هو كفه ومنعه من الاسترسال.

حكمه: واجب بالكتاب والسنة والاجماع.

أنواعه: غض البصر ثلاثة أنواع:

الأول: غض البصر عن عورات الناس وهو نوعان: غض عن العورة؛ كغض

(١) متفق عليه.

الرجل بصره عن عورة غيره، وغض عن محل الشهوة؛ كالنظر إلى الزينة الباطنة من المرأة الأجنبية فهو أشد من الأول[1].

الثاني: غض البصر عن بيوت الناس وما أغلقوا عليه أبوابهم، فبيت الرجل يستر بدنه كما تستره ثيابه، وقد ذكر سبحانه غض البصر وحفظ الفرج بعد آية الاستئذان في سورة النور، وذلك أن البيوت سترة كالثياب التي على البدن[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن النظر الحرام؛ النظر إلى العورات وهي قسمان: عورة وراء الثياب، وعورة وراء الأبواب»[3].

الثالث: غض البصر عما في أيدي الناس من الأموال، والنساء، والأولاد ونحوها.

قال الله تعالى: ﴿**لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[الحجر:٨٨].

أقوال العلماء في غض البصر:

قال الإمام أحمد رحمه الله: «كم نظرة قد ألقت في قلب صاحبها البلابل».

وقال القرطبي رحمه الله: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله».

وقال الحجاوي رحمه الله: «فضول النظر أصل البلاء؛ لأنه رسول الفرج -أعني الآفة العظمى والبلية الكبرى- والزنا إنما يكون سببه»[4].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم، وانسد عليه باب العلم وطرقه».

وقال السعدي رحمه الله في تفسيره: «ومن غض البصر أنار الله بصيرته».

فوائد غض البصر:

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله فوائد كثيرة لغض البصر في كتابه روضة المحبين[5]،

---

(١) قاله ابن تيمية رحمه الله.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المدارج (١١٧/١).

(٤) تفسير الثعالبي.

(٥) روضة المحبين (ص: ٦٧-١٠٤).

ملخصها:

- تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته.
- يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين، وفي الوجه، وفي الجوارح.
- يورث صحة الفراسة، فإنها من النور وثمرته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة.
- يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، كما قيل: العلم نور والمعصية تطفئه.
- يورث قوة القلب وثباته وشجاعته.
- يورث القلب سروراً وفرحة وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه.
- يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهواته وهواه.
- يسد عن العبد باباً من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على موافقة الفعل المحرم وإذا اجتنبه نجا منه.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «حفظ البصر أشد من حفظ اللسان»[1].

قال مجاهد رحمه الله: «غض البصر يورث حب الله تعالى، ومن أحب الله تعالى أحب أن لا يعرفه الناس»[2].

متعنا الله وإياكم بنور البصر والبصيرة... آمين.

(١) المصدر السابق (ص:١٢٥).

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١١٩).

الصفة السادسة والستون
حفظ اللسان

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا**﴾[الأحزاب:٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿**لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا**﴾ [النساء:١٤٨].

الحديث:

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: «**لقد سألتني عن عظيم، وإنه يسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**»، ثم قال: «**ألا أدلك على أبواب الخير؛ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل**»، قال: ثم تلا ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون**﴾[السجدة:١٦] حتى بلغ: ﴿**فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون**﴾[السجدة:١٧]، ثم قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده وذروة سنامه؟**»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»، ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**»، قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: «**كف عليك هذا**»، فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم -أو على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم**»[1].

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦١٦)، وابن ماجه برقم: (٣٩٧٣)، وأحمد برقم: (٢١٥١١) قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم: (٢٦١٦) وصحيح ابن ماجه برقم: (١٣١٤).

المعنى:

حفظ اللسان: صونه عن الفاحش من القول من غيبة، أو نميمة، أو زور، أو باطل.

فقد يتكلم الإنسان بكلمة توبق دنياه وآخرته، وقد يتكلم بكلمة يرفعه الله بها الدرجات، قال ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»(١).

قال الطيبي رحمه الله: «اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن، فإذا أسند إليه الأمر يكون على سبيل المجاز في الحكم»(٢).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن أعضاءه تُكفِّر اللسان، تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»(٣).

قوله: «تكفر اللسان» أي: أن الأعضاء تخضع للسان وتذل له، وتقر له بالطاعة، فإن استقمت أيها اللسان استقمنا، وإن خالفت وَحُدْتَ عن الطريق المستقيم فإنَّا تبع لك فاتق الله فينا»(٤)

قال ابن بريدة رحمه الله: رأيت ابن عباس رضي الله عنهما أخذ بلسانه وهو يقول: «ويحك، قل خيراً تغنم، واسكت عن شر أو سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم».

وحفظ اللسان يتمثل في الآتي:

- **قول الخير أو الصمت؛** لحديث أبي هريرة رضي الله عنه - في الصحيحين- قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وهذا من جوامع الكلم؛ لأن القول كلمة إما خير وإما شر، وإما آيل إلى أحدهما»(٥).

- **الكلمة الطيبة صدقة؛** لحديث أبي هريرة رضي الله عنه - في الصحيحين- قال: قال رسول

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٨).

(٢) تحفة الأحوذي (٧٥/٧).

(٣) أخرجه أحمد برقم: (١١٤٩٨)، والترمذي برقم: (٢٤٠٧) وإسناده حسن.

(٤) لسان العرب (١٥٠/٥).

(٥) فتح الباري (٤٤٦/١٠).

الله ﷺ: «**والكلمة الطيبة صدقة**»، وفي الصحيحين أيضاً عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**».

- **قلة الكلام وعدم الإكثار منه**، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح اسْتُخِفَ به، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه قلَّ خيره، ومن كثر أكله لم يجد لذكر الله لذةً، ومن كثر نومه لم يجد في عمره بركة، ومن كثر كلامه في الناس سقط حقه عند الله، وخرج من الدنيا على غير الاستقامة»[1].

وقال مالك رحمه الله: «لا خير في كثرة الكلام».

بل قال ﷺ: «**وكره لكم قيل وقال**»، كما في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه.

قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: «أي الخوض في أخبار الناس وحكاية ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم».

- **الحذر من الغيبة والنميمة**، وقد تقدم الكلام عليها في صفة الغيبة.

- **عدم التحدث بكل ما سمع**؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع**»[2].

- **الحذر من الكذب**، وهو التحدث بخلاف الواقع، وأعظمه الكذب على الله تعالى أو على رسول الله ﷺ.

- **عدم الطعن والفحش في القول**، قال رسول الله ﷺ: «**ليس المسلم بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش البذيء**»[3].

- **ترك المراء والجدل ولو كان محقاً**؛ لحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في رَبَضِ الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلقه**»[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم برقم: (١٢٦)، والطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٢٢٥٩)، والشهاب القضاعي في مسنده برقم: (٣٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧٥/٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود وحسنه الألباني.

- **عدم إضحاك القوم كذباً**: وهو اختلاق كلام لإضحاك من في المجلس ويسمى اليوم «تنكيتاً»، فعن معاوية بن حيدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويلٌ له، ويلٌ له**»(١).

- **الحذر من بعض الألفاظ والكلمات التي تدور على ألسنة بعض المتكلمين منها على سبيل المثال لا الحصر**:

تكفير المسلمين أو تبديعهم أو تفسيقهم، والحلف بغير الله؛ كالحلف بالأمانة والشرف، والحلف بالطلاق، وسب الريح، وسب الدهر كقولهم؛ زمان أقشر أو زمان غدار، وقول حرام عليك أن تفعل كذا، وغير ذلك.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

احفظ لسانك أيها الإنسان *** لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه *** كانت تهاب لقاءه الأقران(٢)

وقال سعيد بن العاص رحمه الله لابنه: «اقصد في مزاحك، فالإفراط فيه يُذهب البهاء، ويجرىء عليك السفهاء، وتركه يقبض المؤنسين، ويوحش المخالطين».

وورد عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله: «أعط الكلام من المزح بمقدار ما تعطي الطعام من الملح».

وقال شاعر:

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى *** وإني إذا جد الرجال لذو جد(٣)

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «غضب الأشراف يظهر في أفعالها، وغضب السفهاء يظهر في ألسنتها»(٤).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «شيئان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل».

وقال الأحنف بن قيس رحمه الله: «الصمت أمان من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ المنطق، وسلامة من فضول القول، وهيبة لصاحبه».

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني.

(٢) ديوان الإمام الشافعي (ص:١١٠).

(٣) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٢٨).

(٤) المصدر السابق (ص:١٩٧).

وقال أبو حاتم رحمه الله: «الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا سكت، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلي بلسان مطلق، والصامت لا يليق به إلا الوقار وحسن السمت».

وقال الشاعر:

إن كان يعجبك السكوت فإنه *** قد كان يعجب قبلك الأخيارا

ولئن ندمت على سكوت مرة *** فلقد ندمت على الكلام مرارا

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه»[1].

أنواع المزاح:

المزاح على قسمين: مزاح محمود، ومزاح مذموم.

فالمزاح المحمود: فهو الذي لا يشوبه ما كره الله عز وجل، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم.

وأما المزاح المذموم: فالذي يثير العداوة، ويذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويُجرىء الدنيء عليه، ويُحقد الشريف به[2].

قال ربيعة رحمه الله: «المروءة مروءتان: فللسفر مروءة، وللحضر مروءة، فأما مروءة السفر: فبذل الزاد، وقلة الخلاف على أصحابك، وكثرة المزاح في غير مساخط الله، وأما مروءة الحضر: فالإدمان إلى المساجد، وكثرة الإخوان في الله، وتلاوة القرآن»[3].

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:٣٤-٣٦).

(٢) المصدر السابق (ص:٦٧).

(٣) المصدر السابق (ص:٨١).

الصفة السابعة والستون
الدعاء والتضرع والابتهال

الآية:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

الحديث:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»، قالوا: إذن نكثر، قال: «**الله أكثر**»[1].

المعنى:

الدعاء: هو طلب الحاجات من الله مع إظهار التذلل والافتقار.

وهو عبادة بل من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى.

حكمه: واجب.

أدب الدعاء: أن يبدأ بالحمد والثناء على الله تعالى، ثم الصلاة على رسوله الكريم ﷺ، ثم يستغفر الله ويتوب إليه؛ كأن يقول: اللهم إني استغفرك وأتوب إليك، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ.

شروط الدعاء:

- الإخلاص لله تعالى.
- اليقين بالإجابة.
- ألا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم.

آداب الدعاء:

- يفتتح الدعاء بالحمد والثناء.

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٠٧٩٤) وقال الألباني في صحيح الترمذي: حسن صحيح، برقم: (١٦٣٣).

- يستقبل القبلة.
- يكون على طهارة.
- يرفع يديه.
- يخفض صوته.
- يتضرع ويخشع ويخضع.
- يجزم في المسألة ولا يقول إن شئت.
- يوقن بالإجابة.
- يلح في الدعاء ويكرر ثلاثاً.
- يترصد الأوقات والأحوال والأماكن الفاضلة التي هي مظنة الإجابة.
- التوبة النصوح.
- عدم التكلف في الدعاء والسجع فيه.

أوقات وأحوال ومواطن استجابة الدعاء:

أولاً: الأوقات:

وقت السحر، ويوم عرفة، وشهر رمضان، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وبين الأذان والإقامة، وعند صياح الديك، وفي السفر.

ثانياً: الأحوال:

حال السجود، وعند نزول الغيث، وعند زحف الصفوف، ودبر الصلوات، وقبل السلام وبعده، ودعوة المظلوم.

ثالثاً: المواطن:

عشية عرفة لأهل الموقف، وعند الصفاء والمروة، وعند رمي الجمار.

أسباب إجابة الدعاء:

- تحقيق الشروط والالتزام بالآداب.
- بر الوالدين.
- تقديم صدقة بين يدي الدعاء.
- الإكثار من نوافل العبادات.
- إخفاء الدعاء، وفيه فوائد عدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ملخصها في الآتي:

- أنه أعظم إيماناً؛ لأنه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.
- أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ لأن الملوك لا ترفع عندهم الأصوات.
- أنه أبلغ في التضرع والخشوع.
- أنه أبلغ في جمع القلب على الذِّلة في الدعاء.
- أنه أبلغ في الإخلاص.
- أنه دال على قربه من الله.
- أنه أدعى إلى دوام الطلب.
- أنه أبعد له من القواطع والمشوشات.
- أنه آمان من حسد الحاسدين.
- أنه ذكر وعبادة لله تعالى.
- حضور القلب عند الدعاء فالله لا يستجيب دعاء من قلب غافل.
- التوسل بالأعمال الصالحة عند الدعاء[1].

موانع استجابة الدعاء:

- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم.
- استعجال الإجابة.
- أكل الحرام.
- الاعتداء في الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاعتداء في الدعاء تارة يكون بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات، وتارةً يسأل ما لا يفعله الله، مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب، ويسأله بأن يطلعه على غيبه، أو أن يجعله من المعصومين أو يهب له ولداً من غير زوجة ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء لا يحبه الله، ولا يحب سائله، وفُسِّر الاعتداء برفع الصوت أيضاً في الدعاء»[2].

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص:٣٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/١٥).

الصفة الثامنة والستون
الشجاعة

الآية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوص﴾[الصف: ٤].

الحديث:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله تعالى: الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما الموت أو ظعن، والذين يشنؤهم الله: التاجر الحلَّاف، والفقير المحتال، والبخيل المنان**»[1].

المعنى:

الشجاعة: عرفها ابن القيم بقوله: «هي ثبات القلب عند النوازل، وإن كان ضعيف البطش».

وقال الجاحظ: «الشجاعة: هي الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف»[2].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: «قوام هذا الدين كتاب يهدي وسيف ينصر وكفى بربك هادياً ونصيراً».

والشجاعة المحمودة في الإقدام بعقل في مخاطرة يرجى منها خير أو دفع شر.

ويمكن تعريفها بأنها: قوة في عزيمة النفس تدفع إلى الإقدام بعقل في مخاطرة بعمل أو قول لتحصيل خير أو دفع شر مع ما في ذلك من توقع هلاك أو مضرة يقيناً أو ظناً.

---

(١) أخرجه النسائي برقم: (٢٥٧٠)، وأحمد برقم: (٢١٣٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٠٧٤).

(٢) تهذيب الأخلاق (ص:٢٧).

مراتب الشجاعة :

الأول: الهُمام، وسُمي بذلك لهمته وعزمه، وجاء على بناء فُعَال كشجاع.

الثاني: المِقدام، وسُمي بذلك من الإقدام وهو ضد الإحجام، وجاء على أوزان المبالغة كمِعطاء ومِنحار لكثير العطاء والنحر.

الثالث: الباسل، وهو اسم باسل من بسل يبسل كشرف يشرف، والبسالة الشجاعة والشدة، وضدها الرذالة.

الرابع: البطل، وجمعه أبطال، وفي تسميته قولان: أحدهما: لأنه يُبطل فعل الأقران. والثاني: يبطل شجاعة غيره فيجعلها بمنزلة العدم.

الخامس: الصنديد بكسر الصاد[1].

قال الأبشيهي رحمه الله: «علم أن الشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة».

فلا ينبغي أن يتقدم القوم إلا الشجاع من مارس الرجال وما رسوه، وقارع الأبطال ونازل الأقران، وكما قيل: أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد.

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في الشجاعة فهو ﷺ الهُمام المقدام الباسل البطل الصنديد، ففي يوم أحد عندما أراد أُبي بن خلف قتل النبي ﷺ تناول ﷺ الحربة من يد أحد أصحابه، وقال: «**لا نجوت إن نجا**»، وكرَّ على أُبي بن خلف وطعنه طعنةً أطاحته من على فرسه، وقال: قتلني محمد.

وكان على بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من هو في الشجاعة والإقدام يقول: «كنا إذا حمي البأس واحمَّرت الحدق نتقي برسول الله ﷺ».

ثمرات الشجاعة:

قال ابن مسكويه في تهذيب الأخلاق[2] : «الشجاعة تجمع جملة من الفضائل وهي:

كِبَرُ النفس: يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها.

النجدة: ثقة النفس عن المخاوف.

---

(١) الفروسية لابن القيم (ص:٥٠٣).

(٢) تهذيب الأخلاق (ص:١٨) بتصرف.

عظم الهمة: وهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد.

الثبات: وهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها في الأهوال خاصة.

الحلم: وهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا يحركها الغضب بسرعة.

السكون: وهو عدم الطيش عند الخصومات وعند الحروب.

الشهامة: وهي الحرص على الأعمال العظام.

احتمال الكد: وهو استعمال آلات البدن بالتمرين وحسن العادة.

ضابط الشجاعة:

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا اجتمع في الرجل الرأي والشجاعة فهو الذي يصلح لتدبير الجيوش وسياسة أمر الحرب، والناس ثلاثة: رجل، ونصف رجل، ولا شيء، فالرجل من اجتمع له أصالة الرأي والشجاعة فهذا الرجل الكامل كما قال أحمد بن الحسين المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان *** هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هي اجتمعا لنفس مرة *** بلغت من العلياء كل مكان

ونصف رجل، وهو من انفرد بأحد الوصفين دون الآخر.

والذي هو لا شيء من عري من الوصفين»[1].

أشجع الناس:

قال ابن القيم رحمه الله: «وكان الصديق رضي الله عنه أشجع الأمة بعد رسول الله ﷺ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[2].

وقال بعض العرب: «ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أوصى بعضنا بعضاً».

وقال عمرو بن دينار رحمه الله: «كان يقال أشجع الناس الزبير، وأبسلهم علي، والباسل فوق الشجاع»[3].

وأسد الله حمزة، وسيف الله خالد رضي الله عنهما.

---

(١) الفروسية (ص:٥٠٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٨١٥، ٣٨٦٣).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص:٥٧).

أشجع بيت قالته العرب هو قول العباس بن مرادس السُلمي:

أشُدُ على الكتيبة لا أُبالي *** أحتفي كان فيها أم سواها

حكمة:

قال حكيم لحكيم: «لا تظهرن خوفك فيجترىء عليك عدوك، ولا تكابدن من الأمور ما أدبر عنك وقتها، وأكرم نفسك بالكف عن الفضول، واحفظ لسانك ليوم الفزع الأكبر، ولا صديق لذي الغلظة، واصرف رأيك عما يورث الندم»[1].

رؤية الكبار شجعاناً هي وحدها التي تخرج الصغار شجعاناً، ولا طريقة غير هذه في تربية شجاعة الأمة[2].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم»[3].

وحين يفقد الشجاع عنصر الصبر يفقد شجاعته عند نزول الآلام التي لا يصبر على تحملها، فالصبر على تحمل المكاره التي يجرها الإقدام عن عقل وحكمة هو الذي يحافظ على استمرار خلق الشجاعة في النفس.

وسائل اكتساب خلق الشجاعة:

الوسيلة الأولى: التدريب العملي بدفع الإنسان إلى المواقف المحرجة التي لا يتخلص منها إلا بأن يتشجع، وينبغي أن يكون ذلك بالمقدار الذي يغذي خلق الشجاعة، ولا يزيد نسبة الجبن.

الوسيلة الثانية: الإقناع بأن معظم مثيرات الجبن والخوف لا تعدو أنها أوهام لا حقيقة لها.

الوسيلة الثالثة: القدوة الحسنة وعرض مشاهد الشجعان، وذكر قصصهم، مع تمجيدهم، والثناء عليهم، ومنحهم المكافآت المغرية، لإثارة عنصر المحاكاة، ثم المتابعة، ثم المنافسة، ليغرس ذلك في قلوب ناشئتها خلق الشجاعة.

الوسيلة الرابعة: إثارة دوافع التنافس، ومكافأة الأشجع بعطاءات مادية، مع الثناء والإطراء والتمجيد.

الوسيلة الخامسة: ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الإنسان لن يصيبه

(١) المجالسة وجواهر العلم برقم: (٢٧٩٤).

(٢) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٧٨).

(٣) مختارات من (١٠٠) كلمة بليغة منسوبة إلى عمر بن الخطاب ﷺ جاءت في آخر «أطواق الذهب في المواعظ والخطب» للزمخشري (ص١٣٥-١٤٠).

إلا ماكتب الله له، وذلك لأن الإيمان بالقدر خيره وشره من الله يورث القلوب طمأنينة تامة تجاه أشد المخاوف وأعتاها، فالمؤمن صادق الإيمان على يقين تام بأنه لن يصيبه مصيبة لم يسبق فيها قضاء من الله وقدره، ولن يستطيع أن يفلت من مصيبة سبق فيها قضاء من الله وقدره.

ولما كانت عوامل الجبن في الأنفس ترجع معظمها إلى حرص الإنسان على الحياة، وكلما كان الإنسان أشد حرصاً على الحياة، كان أشد جبناً وضعفاً وخوراً، أو ترجع إلى خوف الإنسان على نفسه من العلل والجراحات والآلام التي قد تصيبه إذا هو غامر في المواطن التي تتطلب الشجاعة، أو ترجع إلى خوف الإنسان على أهله وأولاده من بعده، وبسبب ذلك يدب الجبن إلى قلبه، أو ترجع إلى عوامل أخرى فرعية كالأوهام والعقد النفسية؛ وهذه العوامل جميعها باستطاعة الإيمان العميق الصادق أن يهدمها أو يخفف منها، يضاف إلى ذلك أن الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه هو رب العالمين والكفيل بأرزاقهم، من شأنه أن يذهب الخوف على الأهل والأولاد ثقة بالله وتوكلاً عليه، ومتى انهدمت عوامل الجبن اشتدت عوامل الشجاعة ودوافعها، فكان الإنسان شجاعاً بعد أن كان جباناً.

قال الله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[الحديد ٢٢-٢٣].

وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة لتكون قلوبنا مطمئنة مستسلمة لله ﷻ، راضية بما تجري به مقاديره، فلا تحزن على ما فاتها ولا تفرح بما أصابت من خير؛ لأنها تعلم أن كل ذلك لحكمة أرادها الله سبحانه.

فهذه العقائد الإيمانية تمد قلوب المؤمنين بألوان من الشجاعة لا توجد عند غير المؤمنين، ولا يتخاذلون ولا يجبنون إلا إذا ضعفت في قلوبهم عقائد الإيمان، وحب التمسك الشديد بزينة الحياة الدنيا[1].

الجبن:

الجبن: ضد الشجاعة التي سبق بيانها.

والذي يكشف صفة الجبن في الإنسان هو وجوده في مواقف الخوف الحقيقي

(١) من كتاب الأخلاق في الإسلام للدكتور سعيد بن علي القحطاني (ص ٥٨٦-٥٩٣).

أو الوهمي، فالخوف هو الكاشف لصفة الجبن، وقد لا يكون مقدار الخوف كافياً لإثارة الجبن، إلا أن الجبان هو من يكون جبنه أكثر مما يتطلبه الموقف المخيف.

فالجبان يخاف أكثر مما ينبغي فيجبُن، ويتمثل الجبن بعدم الإقدام في المواقف التي تتطلب الإقدام، أو بعدم ثبوت الأقدام في المواقف التي يجمل فيها ثبوت الأقدام، أو بالفرار من الساحة.

وليس كل من يخاف من المواقف جباناً، ولكن الجبان هو من يزيد خوفه عن حاجة الموقف عند الشجعان الأسوياء، حتى يمنعه عن الإقدام والاستبسال، أو هو من يخاف فيجبن في المواقف التي يجمل فيها ويحسن الإقدام وعدم الخوف.

ومن الجبن أن لا يصبر الإنسان على مواجهة المواقف المخيفة، أو مقارعتها، أو تحمل آلامها، لذلك يجد سبيله إلى الفرار إن استطاع إليه سبيلاً، أو تنقطع عزائمه، وتنهار قوته، فلا يثبت أقدامه، وعند ذلك يستسلم، استسلام الشاة لجزارها أو لمفترسها، جُبناً وعجزاً عن تقديم أية قوة من قوى المعارضة.

ومعلوم أن الحرص على الحياة يورث الجبن في القلوب، ولكن المؤمن يعلم أن الله تعالى هو وحده الذي بيده الموت والحياة، وأن لكل إنسان أجلاً لا ينقص ناقص منه ولا يزيد زائد فيه، لذلك فهو أكثر ضبطاً لنفسه عند مواقف الخوف من الموت، ثقة بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له[1].

(١) المصدر السابق (ص ٦٠٦-٦٠٧).

الصفة التاسعة والستون
عداوة الشيطان

الآية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر:٦].

وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨].

الحديث:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت،** -قال الأعمش: أراه قال: فيلتزمه[1]»[2].

المعنى:

اعلم أيها المبارك أن الشياطين -لعنهم الله- أعداء للإنسان، وقد حذرنا الله من عداوتهم، بل أمرنا بعداوتهم وهي عداوة متجذرة منذ أن أمر الله تعالى إبليس -لعنه الله- بالسجود لآدم عليه السلام ولكنه أبى واستكبر.

بعض مظاهر عداوة الشيطان للإنسان:

- إغواء بني آدم وتزيين الشرور والآثام لهم.
- يضل بني آدم ويَعِدُهم ويُمَنِّيهم.
- يؤز بني آدم إلى المعاصي والمحرمات.
- الوسوسة في العمل «صوت خفي يلقيه الشيطان في سمع الإنسان وربما كان

(١) يضمه إليه.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٨١٣).

بنفس صوت الإنسان يستحي أن يطلع عليه الناس لقبحه».

- التحريش بينهم.
- إثارة الحسد في قلوبهم.
- إيذاء بني آدم بأنواع الشرور والأسقام.
- أن يبول في أذن العبد حتى ينام عن صلاة الفجر إلى الصباح.

سبل الشيطان: أربعة وهي: اليمين، الشمال، الأمام، الخلف.

أيُ سبيل سلكها الإنسان من هذه وجد الشيطان له عليها بالمرصاد.

قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِين**﴾[الأعراف:١٧].

مداخل الشيطان:

للشيطان ثلاثة مداخل على الإنسان:

١- **الشهوة:** وبها يصير الإنسان ظالماً لنفسه، ومن نتائجها الحرص والبخل والزنا والسرقة.

٢- **الغضب:** وبه يصير الإنسان ظالماً لنفسه ولغيره، ومن نتائجها العجب والغرور والكبر والظلم والعدوان.

٣- **الهوى:** وبه يصير الإنسان جاحداً لنعم ربه وظالماً لنفسه، ومن نتائجها الكفر والبدعة.

خطوات الشيطان:

هي سبع خطوات:

١- يزين له الكفر والشرك، فإن يئس انتقل إلى:

٢- شر البدعة فإن يئس انتقل إلى:

٣- شر الكبائر فإن يئس انتقل إلى:

٤- شر الصغائر فإن يئس انتقل إلى:

٥- اشغاله بالمباحات عن الطاعات والواجبات، فإن عجز انتقل إلى:

٦- اشغاله بالعمل المفضول عن الفاضل؛ كإشغاله بالنوافل حتى تفوت الفرائض.

٧- فإن عجز عنه في كل ما سبق سلط عليه حزبه من شياطين الإنس والجن

بأنواع الأذى، فالمؤمن لا يزال في جهاد مع النفس والشيطان حتى يلقى الله تعالى.

العصمة من الشيطان:

أمرنا الله ﷻ أن نتحصن من الشيطان، وحذرنا من شره، بما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، من الأدعية والأذكار، وفيهما الهدى والشفاء والعصمة من جميع الشرور في الدنيا والآخرة، ومن ذلك على سبيل الاختصار:

الأول: الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم، وهي قول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

الثاني: التسمية، وهي قول: «بسم الله». فالتسمية حرز من الشيطان، وعصمة من مخالطته للإنسان في طعامه وشرابه، وجماعه، ودخوله بيته، وسائر أحواله.

الثالث: قراءة المعوذتين عند النوم، وهي سورة الفلق، وسورة الناس، وأدبار الصلوت، وعند المرض، والأحوال الشديدة.

الرابع: قراءة آية الكرسي قبل النوم.

الخامس: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة في الليل.

السادس: قراءة سورة البقرة في البيت.

السابع: يقول في اليوم مائة مرة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» فإنها حرز من الشيطان.

الثامن: دعاء الخروج من المنزل؛ عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هُديت، وكُفيت، ووُقيت، فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقيَ؟**»[1].

التاسع: الدعاء إذا نزل منزلاً، عن خولة بنت حكيم السُّلميَّة ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا نزل أحدكم منزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه**»[2].

العاشر: الأذان.

الحادي عشر: دعاء دخول المسجد، «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه**

(١) أخرجه أبو داود والترمذي.

(٢) أخرجه مسلم.

القديم من الشيطان الرجيم».

الثاني عشر: اجتناب مساكن الجن والشياطين؛ كالأماكن الخربة، والأماكن النجسة؛ كالحشوش والمزابل والأماكن الخالية من الإنس كالصحاري وشواطئ البحار البعيدة، ومرابض الإبل ونحوها.

الصفة السبعون
لزوم العقل

الآية:

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٨].

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلدغ**[١] **المؤمن من جحرٍ**[٢] **مرتين**»[٣].

المعنى:

العقل: اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ.

فالمرء في أول درجته يسمى أديباً، ثم أريباً، ثم لبيباً ثم عاقلاً.

قال أبو حاتم رحمه الله: «العقل دواء القلوب، ومطية المجتهدين، وبذر حراثه الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب، ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزاً، ولا المال يرفعه قدراً».

والعاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه، فإذا وقع فيه رضي وصبر، والعاقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع، ولا يقيم على خوف وهو يجد منه مذهباً.

والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يُسأل، ولا يكثر التماري[٤] إلا عند القبول، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت.

---

(١) اللدغ : لذوات الفم كالحيات، واللسع : لذوات الإبر كالعقارب.

(٢) الجُحر: الثقب في الأرض للهوام والسباع.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٣)، ومسلم برقم: (٢٩٩٨).

(٤) التماري : المجادلة.

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العاقل المصيب من عمل ثلاثاً: ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه»[1].

والعاقل لا يستحقر أحداً؛ لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته، ومن استحقر العالم أذهب صيانته.

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه؛ لأن من خفي عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره.

ورأس العقل: المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون.

والواجب على العاقل أن يجتنب أشياء ثلاثة «الاستغراق في الضحك، وكثرة التمني، وسوء التثبت؛ لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق، ولا يسعى إلا لما يدرك، ولا يعد إلا بما يقدر عليه، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد».

والعاقل لا يستعين إلا بمن يحب أن يظفره بحاجته، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنماً، ولا يدعي ما لا يحسن من العلم، ولا يبالي ما فاته من حطام الدنيا.

صفات العاقل:

لا تكاد ترى عاقلاً إلا موقراً للرؤساء، ناصحاً للأقران، متحرزاً من الأعداء، غير حاسد للأصحاب، ولا مخادع للأحباب، ولا يتحرش بالأشرار، ولا يبخل في الغنى، ولا يشره في الفاقة، ولا ينقاد للهوى، ولا يجمح في الغضب، ولا يمرح في الولاية، ولا يتمنى ما لا يجد، ولا يكتنز إذا وجد، ولا يشارك في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً، ولا يشكو الوجع إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه.

ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه.

ولا يجب للعاقل أن يحب أن يسمى به؛ لأن من عرف بالدهاء حُذِرَ، ومن عقل العاقل دفن عقله ما استطاع.

إن المكارم أبواب مصنفة *** فالعقل أولها والصمت ثانيها
والعلم ثالثها، والحلم رابعها *** والجود خامسها، والصدق سادسها

(١) شرح كلمات الشيخ عبدالقادر الجيلاني من فتوى الغيب لابن تيمية (ص:٧٨).

والصبر سابعها، والشكر ثامنها *** واللين تاسعها، والصدق عاشرها

والعاقل يكون حسن السمت[1]، طويل الصمت، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء.

والعاقل لا يقاتل من غير عُدَّة، ولا يخاصم بغير حجة، ولا يصارع بغير قوة.

والواجب على العاقل ترك صحبة الأحمق.

اهجر الأحمق، فليس للأحمق خير من هجرانه.

لا تصحب أخا الجهـ *** ـل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى *** حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء *** إذا ما هو ماشاه

وللشيء على الشيء *** مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب *** دليل حين يلقاه

قال أبو حاتم رحمه الله: «من علامات الحمق التي يجب للعاقل تفقدها ممن خفي عليه أمره: سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة[2] في الأخيار، والاختلاط بالأشرار».

فالواجب على العاقل لزوم السكوت، فالسكوت للأحمق جواب.

وإن من الحمقى من لا يصده عن سلوكه السكوت عنه.

فالعاقل إذا امتحن بعِشْرَة من هذا نعته تكلف بعض التجاهل في الأحايين؛ لأن بعض الحلم إذعان، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل.

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني *** إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج

ولي فرس بالحلم للحلم مُلْجَمٌ *** ولي فرس بالجهل للجهل مسرج

فمن شاء تقويمي فإني مقوم *** ومن شاء تعويجي فإني مُعوَّج

وما كنت أرضى الجهل خِدناً ولا أخاً *** ولكنني أرضى به حين أُحرج

فإن قال بعض الناس فيَّ سماجةٌ *** فقد صدقوا، والذل بالحُرِّ أَسمجُ[3]

وقال أبو حاتم رحمه الله: «ومن شيم الأحمق: العجلة، والخفة، والعجز، والفجور، والجهل، والمقت، والوهن، والمهانة، والتعرض، والتحاسد، والظلم، والخيانة،

(١) السمت : الهيئة.

(٢) الوقيعة : الاغتياب.

(٣) السماجة: القبح.

والغفلة، والسهو، والغي، والفحش، والفخر، والخيلاء، والعدوان، والبغضاء».

وإن من أعظم أمارات الحمق في الأحمق لسانه؛ فإنه يكون قلبه في طرف لسانه، ما خطر على قلبه نطق به لسانه.

والعاقل يجب عليه مجانبة من هذا نعته، ومخالطة من هذه صفته، فإنهم يجترئون على معاشرهم، ألا ترى الزِّط[1] ليسوا هم بأشجع الناس ولكنهم يجترئون على الأسد لكثرة ما يرونها.

فهذا مثل الأحمق: إن صحبته عنَّاك، وإن اعتزلته شتمك، وإن أعطاك منَّ عليك، وإن أعطيته كفرك، وإن أسر إليك اتهمك، وإن أسررت إليه خانك، وإن كان فوقك حقرك، وإن كان دونك غمزك[2].

قال عبدالعزيز بن سليمان الأبرش:

اعلم بأن من الرجال بهيمة *** في صورة الرجل السميع المبصر
فطناً بكل مصيبة في ماله *** وإذا يصاب بدينه لم يشعر

الأحمق يتوهم أنه أعقل من رُكب فيه الروح.

قال أبو حاتم رحمه الله: «وإن من شيم العاقل: الحلم، والصمت، والوقار، والسكينة، والوفاء، والبذل، والحكمة، والعلم، والورع، والعدل، والقوة، والحزم، والكياسة، والتمييز، والسمت[3]، والتواضع، والعفو، والإغضاء، والتعفف، والإحسان، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشد يديه به ولا يزايله[4] على الأحوال كلها»[5].

قال محمد بن الفضل البلخي رحمه الله: «ست خصال يُعرف بها الجاهلُ: الغضب من غير شيء، والكلام من غير نفع، والعطية في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه»[6].

وإذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل.

القلوب كالقدر في الصدور تغلي بما فيها، ومغارفها ألسنتها، فانتظر الرجل حتى

(١) الزط: جنس من الهنود وأهل السند طوال مع نحافة فيهم.

(٢) غمزك : اغتابك وافترى عليك.

(٣) السمت : هيئة أهل الخير.

(٤) يزايله : يفارقه.

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص١٠٩-١١٠).

(٦) درر الأقوال من أفواه الرجال (ص:١٢٨).

يتكلم، فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من بين حلو وحامض وعذب وأجاج، يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه[1].

دعوى تعارض حديث الباب مع حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن غِرٌ كريم، والفاجر خبٌ لئيم**»[2].

أن وصف المؤمن بالغِرِ جاء مقابل وصف الفاجر بالخب والمكر، والمراد غفلة المؤمن عن الشر وبعده عن المكر والخبث، وهذه صفة حميدة لا تحول بينه وبين الاحتراس واليقظة.

وقد جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «لست بالخب ولا الخب يخدعني».

وقال المغيرة بن شعبة ﷺ: «ما رأيت أحداً أحزم من عمر كان والله له فضلٌ يمنعه أن يَخْدع، وعقل يمنعه أن يُخْدع».

(١) المصدر السابق (ص:١٣٢).

(٢) أخرجه أحمد برقم: (٩١١٨)، وأبو داود برقم: (٤٧٥٧)، والترمذي برقم: (١٩٦٤)، والحديث حسن بمجموع طرقه.

الصفة الحادية والسبعون
الصلاة على رسول الله ﷺ

الآية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

الحديث:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»(٢).

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله إني اكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «**ما شئت**». قال: قلتُ الربع؟ قال: «**ما شئت فإن زدت فهو خير لك**». قلت النصف؟ قال: «**ما شئت فإن زدت فهو خير لك**». قال: قلتُ فالثلثين؟ قال: «**ما شئت فإن زدت فهو خير لك**». قلتُ أجعلُ لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذاً تكفى همك ويغفر لك ذنبك**»(٣).

المعنى:

قال أبو العالية رحمه الله: «صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة عليهم الصلاة والسلام وصلاة الملائكة المكرمون: الدعاء».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يصلون: يبركون.

حكم الصلاة على النبي ﷺ:

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ، فقال أبو

(١) أخرجه النسائي برقم: (١٢٩٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٢٠٤٢)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٥٧)، وصححه الألباني.

جعفر الطحاوي وأبو عبدالله الحلمي: تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه.

وقال غيرهما: أن ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه»[(١)].

والقول بالوجوب كلما ذكر اسمه ﷺ تشهد له الأحاديث كحديث «**رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصل عليَّ**»[(٢)]، وحديث «**البخيل من ذُكرتُ عنده فلم يصل عليَّ**»[(٣)].

قال الفكهاني رحمه الله: في حديث «**البخيل من ذُكرتُ عنده فلم يصل عليَّ**» القوي قول من قال بوجوب الصلاة عليه ﷺ كُلما ذُكر اسمه ﷺ[(٤)].

مواطن الصلاة على رسول الله ﷺ:

يستحب الصلاة على رسول الله ﷺ في كل حين ويتأكد الاستحباب في المواطن التالية:

١- بعد الأذان.

٢- يوم الجمعة.

٣- عند ذكر اسمه ﷺ.

٤- عند كتابة اسمه ﷺ.

٥- إذا طال المجلس.

٦- بين تكبيرات العيد.

٧- عند الصفا والمروة.

٨- عند قبره ﷺ.

٩- عند قراءة الآيات التي فيها ذكر النبي ﷺ.

١٠- بعد التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة.

١١- عند الدعاء.

١٢- عند التشهد في الصلاة.

١٣- عند دخول المسجد والخروج منه.

---

(١) جلاء الأفهام (ص٣٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥) وحسنه، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦) وصححه الألباني.

(٤) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع (ص٣١). وينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٠٤/١).

١٤- في أذكار الصباح والمساء.

١٥- عند الهم والغم.

صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ:

صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة جداً وردت في القرآن والسنة والآثار.

والأفضل التنويع بين هذه الصيغ اتباعاً للسنة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح[١]: «إن جماهير العلماء يرون: أنَّ أي لفظ أدى المراد بالصلاة عليه ﷺ أجزأ، أما داخل الصلاة فينبغي الاقتصار على المأثور الوارد وعدم النقص عنه احتياطاً للسنة والدين، واتباعاً للوارد عنه عليه الصلاة والسلام».

ومن هذه الصيغ:

١- «صلى الله عليه وسلم».

٢- «اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

٣- «اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

فوائد الصلاة على النبي ﷺ:

ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه النافع «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام»[٢] أربعين فائدة وهي:

١- امتثال أمر الله تعالى.

٢- موافقة الله سبحانه وتعالى في الصلاة على رسول الله ﷺ.

٣- موافقة الملائكة الكرام.

٤- الحصول على عشر صلوات من الله تعالى لمن صلى عليه ﷺ مرة واحدة.

٥- يرفع بها العبد عشر درجات.

---

(١) ينظر: فتح الباري (١٦٦/١١).

(٢) جلاء الأفهام (ص٤٤٥).

٦- يُكتب له بها عشر حسنات.
٧- يمحى عنه بها عشر سيئات.
٨- يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه.
٩- سبب لشفاعته ﷺ.
١٠- سبب لغفران الذنوب.
١١- سبب لكفاية الله تعالى للعبد ما أهمه.
١٢- سبب لقرب العبد من نبيه ﷺ يوم القيامة.
١٣- تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.
١٤- سبب لقضاء الحوائج.
١٥- سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة الملائكة عليه.
١٦- زكاة للمصلي وطهارة له.
١٧- سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.
١٨- سبب لنجاة العبد من أهوال يوم القيامة.
١٩- سبب لتذكير العبد ما نسيه.
٢٠- سبب لرد النبي ﷺ على المصلي والمسلم عليه.
٢١- سبب لطيب المجلس فلا يعود حسرةً على أهله يوم القيامة.
٢٢- سبب لنفي الفقر.
٢٣- تنفي عن العبد اسم البخل.
٢٤- سبب للنجاة من الدعاء عليه برغم الأنف.
٢٥- سبب لسلوك طريق الجنة.
٢٦- تنجي من نتن المجلس الذي لا يُذكر اسم الله تعالى ورسوله ﷺ فيه.
٢٧- سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ.
٢٨- سبب لكثرة نور العبد على الصراط.
٢٩- يخرج بها العبد عن الجفاء.
٣٠- سبب لإبقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض.

٣١- سبب البركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه.

٣٢- سبب لنيل رحمة الله تعالى.

٣٣- سبب لدوام محبته ﷺ وزيادتها.

٣٤- سبب لمحبة الرسول ﷺ.

٣٥- سبب لهداية العبد وحياة قلبه.

٣٦- سبب لعرض اسم المصلي على النبي ﷺ وذكره عنده.

٣٧- سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه.

٣٨- الصلاة عليه أداء لأقل القليل من حقه ﷺ.

٣٩- أنها متضمنة لذكر الله تعالى وشكره.

٤٠- أنها دعاء، بحيث يسأل العبد ربه تبارك وتعالى أن يُثني على خليله وحبيبه محمد ﷺ ويزيد في تشريفه وتكريمه وإيثار ذكره ورفعه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك وزد وأنعم وأكرم على محمد ما ذكره الذاكرون وصلِّ وسلم وزد وبارك وأنعم وأكرم على محمد وآل محمد ما غفل عن ذكره الغافلون.

الصفة الثانية والسبعون
الشكر

الآية:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾[البقرة:١٧٢].

الحديث:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك**» فقال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دُبُرِ كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(١).

المعنى:

الشكر: هو الاعتراف بالنعمة.

قال ابن القيم رحمه الله: «الشكر ظهور نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة»(٢).

وأصله: إظهار النعمة والاعتراف بها.

ومنزلته: أعلى منازل السالكين بل هو نصف الإيمان.

ومبناه: على خمس قواعد:

١- خضوع الشاكر للمشكور.

٢- حبه له.

٣- اعترافه بنعمته.

٤- الثناء عليه بها.

٥- ألا يستعملها فيما يكره.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٥٢٢)، والنسائي برقم: (١٣٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٧٩٦٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٤٤).

أركانه: وأركانه ثلاثة:

١- القلب بالاعتراف.

٢- اللسان بالتحدث.

٣- الجوارح بتسخيرها في طاعة المنعم عز وجل.

ثمرته:

- أمان من العذاب، قال تعالى: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ**﴾ [النساء:١٤٧]

- زيادة في الرزق، قال الله تعالى:﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد**﴾[إبراهيم:٧].

وكما قيل: النعمة إن شُكرت قرَّت، وإن كُفرت فرَّت.

جعلني الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين... آمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم علينا نعمه، ووالى علينا مننه، وأعاننا على إكمال هذا الكتاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ.

هذا وأتمنى أن يكون هذا الكتاب جامعاً نافعاً يستفيد منه كل من اطلع عليه، والله أسال أن يوفقني في جهدي المتواضع ويجعله خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُون ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُون**﴾[الزمر: ٥٣-٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُون ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم**﴾[يونس: ٦٢-٦٤].

قال القحطاني في نونيته:

والله لو علموا قبيح سريرتي *** لأبى السلَّام عليَّ من يلقاني
ولأعرضوا عني وملُّوا صحبتي *** ولبؤت بعد كرامة بهوانِ
لكن سترت معايبي ومثالبي *** وحلمت عن سقطي وعن طغياني
فلك المحامد والمدائح كلها *** بخواطري وجوارحي ولساني

تم الفراغ من تأليفه أواخر شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية.

إن تجد عيباً فسد الخللا *** جَلَّ من لا عيب فيه وعلا

وستر الله على من ستر، وغفر لمن غفر، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المراجع والمصادر

١- القرآن العظيم.
٢- إحياء علوم الدين للغزالي.
٣- الأخلاق في الإسلام لسعيد القحطاني.
٤- الآداب الشرعية لابن مفلح.
٥- أدب الدنيا والدين لابن أبي الدنيا.
٦- أدب الدنيا والدين للماوردي.
٧- الأدب المفرد للبخاري.
٨- الأذكار للنووي.
٩- أصول الاعتقاد للالكائي.
١٠- الأم للشافعي.
١١- بستان العارفين للنووي.
١٢- تحذير الإخوان من آفات اللسان لأيمن المزين.
١٣- التذكرة للقرطبي.
١٤- التعريفات للجرجاني.
١٥- تفسير ابن كثير.
١٦- تفسير الزمخشري.
١٧- تفسير الشوكاني.
١٨- تفسير الطبري.
١٩- تنبيه الغافلين للسمرقندي.
٢٠- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه.
٢١- جامع العلوم والحكم لابن رجب.
٢٢- جامع المسانيد والسنن لابن كثير.
٢٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
٢٤- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام.

٢٥- الجواب الكافي لابن القيم.
٢٦- حاشية بلوغ المرام لابن باز.
٢٧- حراسة الفضيلة لبكر أبو زيد.
٢٨- درر الأقوال من أفواه الرجال
٢٩- ديوان الشافعي.
٣٠- الروح لابن القيم.
٣١- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان.
٣٢- زاد المعاد لابن القيم.
٣٣- الزهد لابن السري.
٣٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
٣٥- سنن ابن ماجه.
٣٦- سنن أبي داود.
٣٧- سنن البيهقي.
٣٨- سنن الترمذي.
٣٩- سنن النسائي.
٤٠- سير أعلام النبلاء للذهبي.
٤١- شرح صحيح البخاري لابن بطال.
٤٢- شرح السنة للبغوي.
٤٣- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.
٤٤- شرح صحيح مسلم للنووي.
٤٥- شعب الإيمان للبيهقي.
٤٦- صحيح البخاري.
٤٧- صحيح الترغيب والترهيب.
٤٨- صحيح الجامع للألباني.
٤٩- صحيح مسلم.
٥٠- صفات المؤمنين في القرآن الكريم للشيخ صالح السدلان.

٥١- عارضة الأحوذي.
٥٢- العزلة للخطابي.
٥٣- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري.
٥٤- فتح الباري لابن حجر.
٥٥- الفروسية لابن القيم.
٥٦- الفضيلة والفضائل في الإسلام لأحمد السايح.
٥٧- فيض القدير.
٥٨- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي.
٥٩- لسان العرب لابن منظور.
٦٠- مجموع الفتاوى لابن تيمية.
٦١- المختار من مناقب الأخيار
٦٢- مدارج السالكين لابن القيم.
٦٣- المدخل لابن الحاج.
٦٤- المستدرك للحاكم.
٦٥- المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي.
٦٦- مسند أحمد.
٦٧- معجم الطبراني.
٦٨- مفتاح دار السعادة لابن القيم.
٦٩- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا.
٧٠- مكارم الأخلاق للخرائطي.
٧١- الموسوعة الفقهية الكويتية.
٧٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ.
٧٣- نونية القحطاني.
٧٤- أوثق عرى الإيمان لسليمان بن عبد الله.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
١ الإيمان بالغيب..... ٧
٢ الإخلاص ٨
٣ الطهارة ١٠
٤ إقامة الصلاة ١٢
٥ الخشوع في الصلاة ١٤
٦ قيام الليل ١٦
٧ الإنفاق في سبيل الله..... ١٨
٨ طلب العلم والدعوة إليه ٢٠
٩ اتباع السنة ٢٤
١٠ الاستقامة ٢٦
١١ تذكر الموت ٢٨
١٢ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٩
١٣ الإحسان ٣٠
١٤ التقوى ٣٢
١٥ الصبر ٣٤
١٦ التوكل على الله ٣٦
١٧ الاستغفار بالأسحار ٣٩
١٨ كظم الغيظ ٤٢
١٩ العفو والتسامح ٤٤
٢٠ العدل ٤٦
٢١ الوفاء بالعهد..... ٤٨
٢٢ الصدق ٥٠
٢٣ صلة الرَحِم ٥٢
٢٤ الإعراض عن اللغو ٥٤
٢٥ حفظ الفرج ٥٥

٢٦ أداء الأمانة ٥٧
٢٧ التواضع ٥٩
٢٨ عدم قتل النفس إلا بالحق ٦١
٢٩ الابتعاد عن شهادة الزور ٦٣
٣٠ التثبت عند سماع الشائعات ٦٤
٣١ الإصلاح بين المتخاصمين ٦٦
٣٢ عدم السخرية من الآخرين ٦٨
٣٣ الابتعاد عن اللمز والتنابز بالألقاب ٧٠
٣٤ عدم سوء الظن ٧٢
٣٥ عدم التجسس ٧٤
٣٦ تركُ الغيبة ٧٦
٣٧ القناعة ٧٨
٣٨ بر الوالدين ٧٩
٣٩ الرحمة ٨١
٤٠ حُسن الخُلق ٨٣
٤١ الاجتماع وعدم الفرقة ٨٥
٤٢ الإخاء والأخوة ٨٧
٤٣ الاستئذان ٨٩
٤٤ الاستعانة ٩١
٤٥ الاعتراف بالفضل ٩٢
٤٦ إفشاء السلام ٩٤
٤٧ تعظيم الحرمات ٩٧
٤٨ تفريج الكربات ٩٩
٤٩ تلاوة القرآن ١٠١
٥٠ حفظ الأيمان (الحلف) ١٠٣
٥١ العناية بحق الجار ١٠٤
٥٢ الحكمة ١٠٦
٥٣ الحياء ١٠٩
٥٤ الرضا ١١١

٥٥ الكرم والجود ١١٣
٥٦ عيادة المريض ١١٥
٥٧ كفالة اليتيم ١١٧
٥٨ المسارعة في الخيرات ١١٩
٥٩ محاسبة النفس ١٢١
٦٠ الولاء والبراء ١٢٣
٦١ حسن العشرة بين الزوجين ١٢٥
٦٢ قضاء حوائج الناس ١٢٧
٦٣ سلامة الصدر ١٢٩
٦٤ العفة والعفاف ١٣٢
٦٥ غض البصر ١٣٤
٦٦ حفظ اللسان ١٣٧
٦٧ الدعاء والتضرع والابتهال ١٤٢
٦٨ الشجاعة ١٤٥
٦٩ عداوة الشيطان ١٥١
٧٠ لزوم العقل ١٥٥
٧١ الصلاة على رسول الله ﷺ ١٦٠
٧٢ الشكر ١٦٥
الخاتمة ١٦٧
المراجع والمصادر ١٦٨

هذا الكتاب:

يعرض مجموعة من صفات المؤمنين، وقد طُرّز بآيات من القرآن العظيم، وصحيح سنة نبينا الكريم ﷺ وأقوال الصحابة الكرام والعلماء الأبرار، لكي نقتدي بهم ونتبع منهجهم بإسلوب جمع بين الدقة في النقل والبساطة في الإنشاء.

وهو ثمين الزاد واسع الحكمة متين العلوم يجد فيه الطالب بغيته، والمسترشد طلبته ، والساعي إلى درجات الكمال ما يرضيه ويغنيه ويفي بغرضه بإذن الله.

ويستحسن أن يقرأ على مجامع الناس بعد الصلاة، أو في أوقات مناسبة، حتى تعم الفائدة.